حسن عبد الله العجمي

بحوث ومقالات
من هدي الإسلام

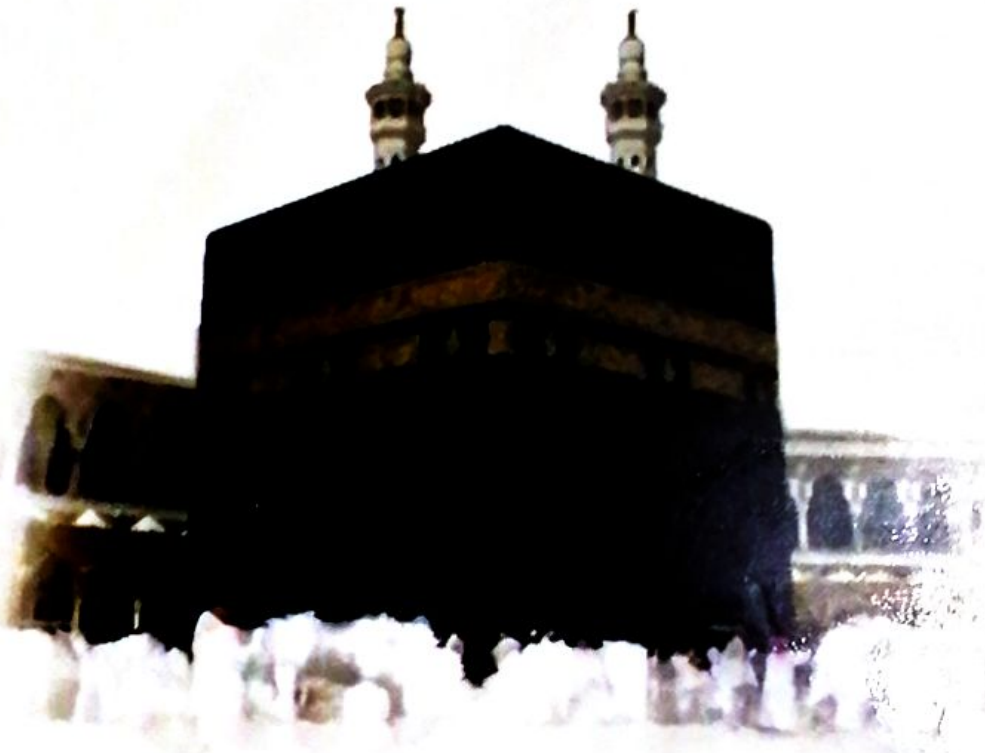

دار المحجة البيضاء

بحوث ومقالات
من هدي الإسلام

تأليف
حسن عبد الله العجمي

دار المحجة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

ISBN 978-614-426-785-1

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله لطيبين الطاهرين، وعلى من تبع نهج محمد وآله إلى قيام يوم الدّين، وبعد:

ما تجده - عزيزي القارئ المحترم - في هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من البحوث والمقالات تناولت فيها موضوعات مختلفة، ألقيت بعضها كخطب في يوم الجمعة، وبعضها كمحاضرات عقيب الصلوات أو من خلال المنبر الحسيني، وذلك في أماكن وأزمنة مختلفة، أسأل الله العليّ القدير أن ينفع بها عباده المؤمنين، ويجعلها لي ذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

حسن عبدالله علي العجمي
hassan.alajmi@hotmail.com
سلطنة عمان - صحار
١٦ رجب ١٤٣٨هـ

من ثمار التّقوي

من هدي الإسلام
بحوث ومقالات

من ثمار التقوى

حقيقة التقوى:

أشارت العديد من الآيات القرآنية والرّوايات الشريفة، المأثورة عن النبي المصطفى «صلى الله عليه وآله» وعن الأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام» إلى الكثير من الثمار والفوائد للتقوى، وقبل التعرّض لبعض ثمارها وآثارها مما ورد في الآيات والرّوايات أودُّ بيان ما هي التقوى؟

هناك رواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» يعرّف فيها التقوى فيقول: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك)[1].

فالتقوى على حسب هذا التعريف؛ هي الامتناع عن الذنب والمعصية، بفعل ما أوجب الله فعله، وترك ما نهى عنه وأمر بتركه، بعبارة أخرى: هي ملكة إذا حصلت للإنسان استطاع بموجبها أن يجتنب المعاصي والمخالفات الشرعية، فالمتقي إذن هو ذلك الإنسان الملتزم التزاماً تاماً بالواجبات، فيؤدي ما فرضه الله تعالى عليه من الفرائض والواجبات، وينتهي عن ما نهاه سبحانه

(١) بحار الأنوار ٦٧/٢٨٦.

عنه من المنهيات والمحرّمات.

والآيات والرّوايات في الدّعوة إلى ملازمة التقوى كثيرة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾[3]، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[4].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لأبي ذَر: (أوصيك بتقوى الله، فإنّه رأس الأمر كلّه)[5].

وأثر عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الكثير من الأقوال في الحث على التقوى، وممّا أثر عنه قوله: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش)[6].

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) النساء: ١٣١.

(٤) النساء: ١٩.

(٥) الترغيب والترهيب في الحديث الشريف ٣/١٩٠.

(٦) بحار الأنوار ٣٤/١٢٦.

وقوله «عليه السلام»: (أوصيكم بتقوى الله فإنها غبطة الطالب الراجي، وثقة الهارب اللاجئ، واستشعروا التقوى شعاراً باطناً)[1].

من ثمار التقوى:

١-المحبة والتأييد والحفظ والنصرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[2]، إنّها المعيّة، ثمرة الولاية الإلهية للمتقين ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]، تلكم الولاية التي لا حدود لعطائها في شطريه المادي والمعنوي، حيث تفضي إلى محبته سبحانه﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، فيغدق سبحانه على أوليائه المتقين من نعمه ظاهرها وباطنها، لتصل آثار محبته لهم إلى أن يتفضل عليهم بالنصرة والحفظ من شر كل ذي شر، ويتفضل عليهم بالمزيد من فضله ليكونوا مصداقاً للذين أنعم الله عليهم، فهم مع النبيين والصديقين والشهداء

(١) الكافي ١٧/٨.
(٢) النحل: ١٢٨.
(٣) يونس: ٦٢ - ٦٤.
(٤) آل عمران: ٧٦.

والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

٢- البصيرة:

يحتاج العبد في مسيرته الحياتية في هذه الحياة الدنيا، ونتيجة لوجود الكثير من المسالك والسبل المختلفة، والأيدلوجيّات والأفكار المتضاربة، إلى قوّة يميّز بها بين الصحيح والسقيم، والصواب والخطأ، والحسن والقبيح، والصديق من العدو، والفوائد من الأضرار، وعوامل السعادة من عوامل الضّياع والشقاء، وهذه القوّة إنّما تأتي من التقوى، حيث يهب الله تعالى لعبده المتّقي بصيرة، يستطيع بواسطتها أن يفرّق بين الحقِّ والباطل، سواء أكان ذلك في الاعتقاد بالتفرقة بين الإيمان والكفر، وكل هدى وضلال، أو في العمل بالتمييز بين ما هو طاعة لله وما هو معصية له، وما يرضي الله وما يسخطه، أو في الرأي والنظر بالفصل بين الصواب والخطأ، فكل ذلك يتأتى بواسطة الفرقان والنور الذي تثمره التقوى، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[2].

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الأنفال:٢٩.

٣- إصلاح العمل وتكفير السيئات:

ووعد الحق سبحانه عباده بأنّهم إن لازموا التقوى في حياتهم وعاشوها سلوكاً، عملاً وقولاً، وعدهم بأن يصلح أعمالهم، حيث يوفقهم إلى أن يأتوا بها صالحة مرضيّة لديه، ويكفّر عنهم سيئاتهم فيزيل عنهم آثامها فلا يؤاخذهم عليها، فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً**﴾[٢].

٤- سبب في الخروج من الأزمات:

ولا شكّ أنّ مصاعب الحياة الدنيا وأزماتها كثيرة، فالمرء فيها عرضة لأن تنتابه المشاكل والمصائب، وتتوجه إليه الهموم والأحزان، فيحتاج إلى ما يخرجه منها، ولا مخرج من كلٍّ ذلك إلاّ بملازمة التقوى، فمن يعيش في خط الاستقامة فلا يفقده الله حيث أمره ولا يراه حيث نهاه، يُسهِّل الله له المخرج من كل ما ألم به من مضائق هذه الحياة وما صعب عليه من أمورها، بهذا نطقت الآيات الكريمة والرّوايات الشريفة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾[٣]، وقال عزّ من قائل: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ**

(١) الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٢) الطلاق: ٥.

(٣) الطلاق: ٢.

﴿اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[1].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منهما فرجاً ومخرجاً)[2].

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (من اتّقَى الله سبحانه جعل له من كل همٍّ فرحاً، ومن كل ضيق مخرجاً)[3].

وعنه «عليه السلام» قال: (من أخذ بالتّقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها)[4].

٥- سبب في إدرار الرّزق:

ومن فضل الله على عبده المتقي ييسر عليه سبل الحصول على الرّزق، فيرزقه من سبل وجهات لا يحتسب العبد أن يأتيه الرزق منها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[5].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (يا أيها الناس اتخذوا

(١) الطلاق: ٤.
(٢) بحار الأنوار ٦٧/٢٨٥.
(٣) ميزان الحكمة ٩/٥٠٨، برقم: ٢٢٤١٠.
(٤) ميزان الحكمة ٩/٥٠٨، برقم: ٢٢٤١١.
(٥) الطلاق: ٢-٣.

التقوى تجارة، يأتيكم الرّزق بلا بضاعة ولا تجارة، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (... فإنّ الله قد ضمن لمن اتّقاه أن يحوّله عمّا يكره إلى ما يحب ويرزق من حيث لا يحتسب ...)[2].

بل إن بركات التقوى تعم البلاد التي يتقي أهلُها الله تعالى، فيفتح سبحانه عليهم أسباب الخير من جهة السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[3].

٦- النجاة من سكرات الموت:

من العقبات الصعبة التي لا بدّ وأن يمرّ عليها كل إنسان، عقبة استخراج الرّوح من الجسد، والنّاس في استخراج واستلام أرواحهم على أقسام، فمنهم من تستلم وتستل روحه بسهولة دون أدنى عناء أو صعوبة، بل لا يعدوا استلام أرواح بعض العباد جهد شم أطيب الرّياحين، ومنهم من يكون استخراج أرواحهم كتبديل الثوب الوسخ من على البدن بثوب نظيف، ومنهم من تنتزع

(١) ميزان الحكمة ٥٠٦/٩، برقم: ٢٢٤٠٦.

(٢) الكافي ٤٩/٨.

(٣) الأعراف: ٩٦.

أرواحهم بصعوبة شديدة جداً كتقطيع الأوصال بالمنشار، أو كسلخ الجلد من على الجسد، وبعضهم أصعب من ذلك وبعضهم أسهل، وأمّا المتّقي فيسهل الله تعالى عليه سكرات الموت فتستلم روحه بسهولة ويسر.

فينقل أن النبي «صلى الله عليه وآله» قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ قال: (من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وشدائد القيامة)[1].

قصة في سهولة استلام الروح:

يُنقل عن العلامة الحلي أنه كتب بخطه المبارك: أنني ذهبت في عصر أحد الأيام إلى مقبرة مدينة الحلة لقراءة الفاتحة لأهل القبور، فشاهدت اسماً على أحد القبور ولم يكن من أهالي الحلة، لأنه كان اسماً أعجمياً، وقد كتب عليه أنّه من أهل العلم، فتمنيت أن أتعرَّف عليه فدعوت الله أن يعرفني على صاحب هذا القبر.

وفي تلك الليلة رأيت في عالم الرؤيا سيداً جليلاً ذا وجه نوراني، فقال: أنا صاحب ذلك القبر الذي قرأت له الفاتحة، وأنا أشكرك على ذلك، فسأله العلامة من أنت؟ فقال: أنا رجل إيراني وقد جئت إلى الحلة طلباً للعلوم الدينية، وبعد مدة مرضت في المدرسة التي كنت فيها واشتدّ مرضي إلى درجة أنني لم أعد

(١) ميزان الحكمة ٥٠٧/٩، برقم: ٢٢٤٠٥.

أستطع الخروج من الغرفة، وكان حالي وخيماً، وكنت أحسُّ بالألم في جميع بدني.

وفجأة شممت رائحةً طيبةً، ورأيت وجهاً جميلاً وجذاباً فسررت بذلك، فسأل عن أحوالي فقلت له: إني أحسُّ بالألم من رأسي إلى أخمص قدمي، فقال: ألا تريد أن أجلب لك الطبيب لترتاح، فقلت: وهل هناك إحسانٌ أعظم من هذا؟ ولم تمر فترة حتى جاء إليّ شخص آخر وكان جميلاً ومعطراً، فسأل عن حالتي بكل لطف وجب: أين تحسُّ بالألم؟ فقلت: من رأسي إلى أخمص قدمي، فوضع يده على قدمي وأخذ يمسح إلى الأعلى، فقلت: لقد زال الألم إلى هذا الحد، فما زال يمسح صاعداً وأنا أقول: إلى هنا زال الألم، حتى انتهى إلى رأسي، فرأيت نفسي جالساً إلى جانب الغرفة وبدني ملقاً على الأرض، وفي ذلك الوقت دخل أحد طلاب المدرسة ووضع يده على بدني ثم قال: آه لقد مات السيد.

ثم رأيتُ بعد ذلك أنهم حملوا بدني إلى المغتسل ثم كفنوه ولكني شعرت بالخوف عندما أرادوا دفنه في القبر، فرأيت ذلك الشكل الجميل الذي رأيته أول مرة فسررت لذلك، فقال لي: ألا تعرفني؟ فقلت: لا، فقال: أنا عملك الصالح وذلك الطبيب هو ملك الموت عزرائيل الذي قبض روحك وذهب، وأما أنا فسأكون معك دائماً.

والشاهد في هذه القصة أن هذا الرجل باعتبار أنه من أهل الصلاح والتقوى، وأنّ أعماله كانت صالحة، فإن روحه استلمت من دون أن يشعر بخروجها، بل إنّه بموته وخروج روحه تخلّص من الآلام والأوجاع التي تسبب بها له المرض الذي ألم به.

٧- النجاة من شدائد القيامة:

لقيام القيامة شدائد عظيمة مهولة، حيث يداخل الناس الفزع والخوف والحزن، قال تعالى واصفاً حال الناس عند قيام الساعة: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[1].

إنّه خطاب ربِّ العزّة والجلالة لجميع النّاس بلا استثناء، يدعوهم فيه إلى ملازمة التقوى، ويعلمهم أنّ أحداث قيام الساعة عظيمة، فهي مرعبة إلى درجة أن تغفل الأم الحنون والعطوف وهي ترضع وليدها من ثديها عنه، وتنسى قربه منها ووجوده في حضنها وارتضاعه من ثديها، فتتركه مهملة له لهول ما ترى، باحثة عن خلاص لنفسها، وحتى المرأة الحامل فلشدة ما ترى تسقط جنينها وتجهضه قبل موعد ولادتها له، والناس كالسكارى

(١) الحج: ١-٢.

وإن لم يتناولوا مسكراً، فهم كمن سلب عقله لما يرون من شدائد ذلك اليوم وأهواله ومن عذاب الله الشديد.

فلا أمن من كل ما يحدث من أهوال ونكبات عند حصول تلك الزلزلة إلاّ بالتقوى، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1].

٨- النجاة من النار والتنعم في الجنة:

ثم إن المتقين لا يداخلهم في يوم العرض الأكبر على الله -حيث تكون مظاهر العذاب والرّحمة بارزة للجميع- خوف ولا ينتابهم حزن، ولا يمسهم سوء، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2]، فهم ليسوا كالمجرمين الذين سوّدوا صحائف أعمالهم بالكفر والشرك والنفاق وارتكاب الفواحش والمنكرات، وملؤوها بالمعاصي والسيئات، وإنّما تتضمن صحائفهم عقائدهم الحقّة التي عاشوها، وأعمالهم الصالحة التي مارسوها، ويشاهدون كل ذلك متجسماً في صور مفرحة، فيداخلهم السرور والفرح، لما يرون من النعيم الذي أعدّه الله لهم،

(١) الأعراف: ٣٥.

(٢) الزمر: ٦٠.

مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[1].

النّاس جميعاً البرُّ منهم والفاجر سيردون النار يوم القيامة، فهذا حتم قطعه الله سبحانه على نفسه، إمّا بالدخول فيها، فتكون على المؤمن المتقي برداً وسلاماً، أو بالإشراف عليها والاقتراب منها فيأتون إلى جانبها للحساب أو لمشاهدة المصير النهائي للعصاة المذنبين، ثم ينجي الله تعالى عباده المتقين ويترك فيها العصاة المذنبين الظالمين، أو بمرورهم على الصراط الممدود عليها كما قيل[2]، حيث يمرُّ عليه المتقون كلمع البرق، وينجي الله

(١) مريم: ٧٢.

(٢) عن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سئل عن ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: بذلك أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا برز الخلائق، وجمع الأولين والآخرين، أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وغضب وزفير وشهيق، وإنها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله أخرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق، البر منهم والفاجر، فما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبياً إلاّ ينادي: رب نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي: أمتي أمتي، ثم يوضع عليها الصراط أدق من حد السيف، عليها ثلاث قناطر، فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وثانيها فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها رب العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليها فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، والناس على الصراط فمتعلق بيد، وتزول قدم، ويستمسك =

منها برحمته من يشاء، فيما يهوي فيها أهلها العصاة الظالمون[1].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2].

لأنّهم متقون، يساقون سوق احترام وتبجيل وإجلال وإعزاز وتشريف وتكريم إلى الجنة التي أعدّها سبحانه لهم[3]، يساقون إليها بعد أن «زحزحوا عن النار، واطمأنت بهم الدار، ورضوا المثوى والقرار، الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً، تخشّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً توحشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنة مآباً، والجزاء

= بقدم، والملائكة حولها ينادون: يا حليم اعف واصفح وعد بفضلك وسلم سلم، والناس يتهافتون في النار كالفراش فيها، فإذا نجا ناج برحمة الله مر بها فقال: الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجاني منك بعد أياس بمنه وفضله إن ربنا لغفور شكور) (بحار الأنوار ٨/٢٩٣).

(١) في مجمع البيان للعلامة الطبرسي: (قيل إن الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أن الله تعالى لا يُدخل أحداً الجنة، حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب، ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال لطفه وإحسانه إليه، فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها، ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة، وما فيها من أنواع النعيم والثواب، ليكون ذلك زيادة عقوبة له، حسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها) (مجمع البيان ٦/٤٤٣).

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣).

ثواباً، وكانوا أحق بها وأهلها، في ملك دائم، ونعيم قائم»[1].

تستقبلهم الملائكة الموكلون بالجنة، فيلقون عليهم تحية ربّهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾، ثم يخاطبونهم بالقول ﴿طِبْتُمْ﴾، أي بما أنكم اجتنبتم المعاصي والذنوب في الدنيا، ولم تتدنّسوا بها، وطهرتم من خبثها، فزكت أنفسكم وطابت بعمل الصالحات، ولأنّ الجنة لا يدخلها إلاّ الطيب ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ دخول مكث دائم أبداً.

(١) نهج البلاغة.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

من خصائص إنفاق المتقين

من خصائص إنفاق المتقين

حثّت الشريعة الإسلامية المسلم على إنفاق المال في سبيل الله سبحانه وتعالى، بصرفه في وجوه الخير والبرّ والإحسان وغير ذلك مما يدخل تحت عنوان الإنفاق في مرضاة الله عزّ وجل، ورغبّت في ذلك ترغيباً شديداً، فوعد الله المنفقين بمضاعفة الأجر والثواب لهم أضعافاً مضاعفة، وبالزيادة والنّماء في أموالهم، فقال: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، فشبّه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إنفاق المال في مرضاته بحبّة الحنطة أو غيرها والتي تثمر سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبّة، فالحبّة الواحدة أعطت سبعمائة حبّة، فكذلك يكون ثواب من ينفق من ماله في سبيل الله، سيتفضل الله عليه ويعطيه أضعاف ما أنفق، بل لا وقفة عند ذلك، فالله يضاعف لمن يشاء من عباده بأكثر من سبعمائة ضعف بحسب درجة ومنزلة المنفق عنده سبحانه.

قال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (من أعطى درهماً في

(١) البقرة: ٢٦١.

سبيل الله كتب الله له سبعمائة حسنة)[1].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2].

وفي هذه الآية الكريمة يشير الحق سبحانه وتعالى إلى مسألة الرّزق، وأن زيادته أو نقصانه هي منه سبحانه، فهو من يزيد في رزق فلان من النّاس ويوسّع عليه فيه، وهو من يقتّر على فلان من النّاس رزقه، ويضيّق عليه فيه، كل ذلك خاضع لحكمته تعالى، فمتى ما اقتضت المصلحة والحكمة أن يكون العبد غنيّاً جعله الله كذلك فبسط له في رزقه وآته من ماله، ومتى ما كانت المصلحة والحكمة تقتضي أن يكون العبد فقيراً، قتّر عليه في رزقه، ثم يقطع الله فيها على نفسه عهداً للمنفقين بأنهم إن أخرجوا من أموالهم شيئاً فأنفقوه في سبل الخير، على أهل العوز والحاجة كالفقراء والمساكين لا سيما الأرامل واليتامى منهم، وفي سائر صنوف الخير والبر كبناء المعاهد ودور العلم والمصحّات وغير ذلك مما ينتفع به النّاس وما هو مورد حاجتهم، فإنّه سبحانه سيعوّضهم عنه ويعطيهم بدلاً منه إمّا في هذه الحياة الدنيا أو في الآخرة.

(١) ميزان الحكمة ٩/١٢٥، برقم: ٢٠٦٥٧.

(٢) سبأ: ٣٩.

كما حذّرت الشريعة الإسلامية من الشحّ بالمال والبخل به، من كنزه وعدم إنفاقه في مرضاة الله، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

فأنّ أولئك الذين تشحُّ نفوسهم عن بذل المال في سبيل الله فيمتنعون عن إنفاقه لهم عذاب أليم، حيث تؤخذ تلك الأموال فتوضع في نار جهنّم حتّى تشتدُّ حرارتها لدرجة أنّها تكون صالحة للكي، فتكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم، وزيادة على ذلك يوبّخون، فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، أي هذا الذي بخلتم به وشحتّ نفوسكم عليه وحرصتم على كنزه وتخزينه، وكنتم على علاقة حب شديدة معه، وجمعتموه لكي تنتفعون منه وتتمتعون به، قد انقلب عليكم مضرّة، فتحوّل إلى نار تحرقون به جزاء لكم على بخلكم وشحكم به.. فما أشدّه من عذاب وآلمه من عقاب.

وهناك حديث عن الإمام الصادق «عليه السلام» صريح في أنّ من يبخل بالمال فلا يتصدّق منه بشيء، فهو بعيد كل البعد عن الرّحمة الإلهيّة، قال «عليه السلام»: (ملعون، ملعون، من وهب

(١) التوبة: ٣٤ - ٣٥.

الله له مالاً فلم يتصدّق منه بشيء)[1].

والإنفاق في سبيل الله من خصائص عباد الله المؤمنين المتقين، وقد امتدحهم سبحانه في كتابه بذلك، فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾[3].

وقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[4].

ولإنفاق المتقين مميزات وخصائص أهمّها:

١- أنّ إنفاقهم يكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى، وابتغاء مرضاته، فلا يكون انفاقهم رياءً وطلباً للسمعة والشهرة، وإرادة المدح والثناء من النّاس، إنّهم يطلبون جزاء عملهم هذا من الله

(١) ميزان الحكمة ٩/١٢٥، برقم: ٢٠٦٦٥.
(٢) البقرة: ٢ - ٣.
(٣) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.
(٤) الأنفال: ٢ - ٣.

وحده، قال تعالى - وهو بصدد مدح إنفاق من هم على رأس قائمة المؤمنين المتقين، وهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والسيدة الزهراء والإمامان الحسن والحسين «عليهما السلام»، وذلك عندما أنفقوا طعامهم وبذلوه في سبيل الله وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية للمسكين واليتيم والأسير، مع حاجتهم الشديدة له -: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من عباده عملاً لا يكون خالصاً لوجهه، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً؛ لأنّه لا يقبل من عباده الأعمال إلاّ ما كان خالصاً)[2].

وعنه «صلى الله عليه وآله» قال: (أخلصوا أعمالكم لله؛ فإنّ الله لا يقبل إلاّ ما خلص وجهه)[3].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (إن الله لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرة من رياء)[4].

---

(١) الإنسان: ٨ - ٩.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٧٢، برقم: ٤٩٩٧.

(٣) ميزان الحكمة ٣/٧٢، برقم: ٤٩٩٨.

(٤) تنبيه الخواطر «مجموعة ورّام»، صفحة ١٩٥.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: (قال الله تبارك وتعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله، إلاّ ما كان لي خالصاً)[1].

وقال «عليه السلام»: (إيّاك والرّياء؛ فإنّه من عمل لغير الله وكّله الله إلى من عمل له)[2].

إن العمل قد يكون في ظاهره حسناً كالإنفاق في وجوه الخير، ولكن هذا الظاهر الحسن ليس له أثر في قبول هذا العمل ما لم يكن في باطنه واجداً لأهم شرط من شرائط القبول وهو أن تكون النية فيه خالصة لوجهه سبحانه، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال: (إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول اللهِ عزّ وجل: اجعلوها في سجّين إنّه ليس إياي أراد بها)[3].

وهذا المعنى بيّن وواضح من قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[4].

فيرغّب الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية عباده المسلمين في

(١) ميزان الحكمة ٣/٧٢، برقم: ٥٠٠١.
(٢) ميزان الحكمة ٣/٤٠٩، برقم: ٦٩٩١.
(٣) ميزان الحكمة ٣/٤٠٨، برقم: ٦٩٨٧.
(٤) البقرة: ٢٧٢.

الإنفاق من خلال بيانه أنّ خير إنفاقهم عائد إليهم، فهم وحدهم المنتفعون به، ثم يأمرهم ولكن بصيغة الإخبار أنّ ما ينفقونه يجب أن يكون خالصاً لوجه وطلباً لرضاه لا سوى ذلك، فالإنفاق في هذا الوجه هو ما يكون خيراً لأنفسهم وإلاّ إذا كان رياءً أو طلباً للسمعة والمكانة، أو نفاقاً، أو شاركه المنُّ أو الإيذاء فهو شر لأنفسهم، فحين يكون إنفاقهم خيراً من جهات ثلاث، من جهة النيّة، ومن جهة المادة المنفقة، ومن جهة كيفيّة الإنفاق فإنه يوفّ إليهم فيأخذون جزاءه أضعافاً مضاعفة كما وعد سبحانه في آيات أخرى، وأنهم لا يظلمون حيث لا ينقص من جزائهم وثوابهم وثمار إنفاقهم شيءٌ بل سيعطونه وافياً كاملاً في الدنيا والآخرة.

فدلّت هذه الآية الكريمة على أنّ الجزاء على الإنفاق إنّما يكون فيما إذا كانت نية المنفق في إنفاقه خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته وتقرّباً إليه دون غيره.

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: (يؤمر برجال إلى النار فيقول الله عز وجل لمالك: قل للنار لا تحرقي لهم اقداماً، فقد كانوا يمشون بها إلى المساجد، ولا تحرقي لهم وجوهاً، فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرقي لهم أيدياً، فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرقي لهم ألسنة، فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، قال فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء ما كان حالكم، قالوا: كنا

نعمل لغير الله عز وجل فقيل لنا خذوا ثوابكم ممن عملتم لهم)[1].

٢-أن إنفاقهم لا يتقيّد فقط بحالة السراء، بل ينفقون في السراء والضراء، في العسر واليسر، في الغنى والفقر، قال تعالى في بيان ذلك من حالهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾[2].

إنّ البعض يمتنع عن الإنفاق بحجة أنّه ليس لديه مالٌ كثيرٌ، فهو ليس بغني حتى ينفق، فيرى أن الإنفاق مطلوب من الأغنياء، ممن يمتلك مالاً كثيراً، والحق أنّ هذا الذي يراه هو أمر خاطئ، فالإنفاق في سبيل الله ليس مطلوباً فقط من الأغنياء، ممن لديهم الأموال مكدّسة، بل هو مطلوب من الجميع ممن يستطيع أن ينفق ولو كان شيئاً زهيداً يسيراً.

إنّ إنفاق القليل من المال في سبيل الله عزّ وجل من إنسان معسر فقير هو بحاجة إلى المال يكون أعظم أجراً عنده سبحانه من إنفاق غني شيئاً من ماله مما هو ليس بحاجة إليه.

فالمتّقون لا يبخلون بالإنفاق حتى في حالة الضراء والعسر والفقر، وذلك يكشف عن ترسخ هذه الصفة «الإنفاق» وتجذّرها

(١) ثواب الأعمال، صفحة ٢٢٤.

(٢) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.

في نفوسهم.

فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (ثلاثة من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصافك النّاس من نفسك، وبذل العلم للمتعلّم)[1].

وعن الإمام زين العابدين «عليه السلام» قال: (إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: (ثلاث من أتى اللهَ بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه)[3].

٣-أنّ إنفاقهم يتخذ الحدّ الوسط بدون إسراف في الإنفاق أو تقتير، فهم معتدلون في إنفاقهم حيث يكون إنفاقهم بعيداً عن الإسراف أو البخل، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[4]، وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[5].

(١) ميزان الحكمة ٩/١٣٤، برقم: ٢٠٧٠٠.
(٢) ميزان الحكمة ٩/١٣٤، برقم: ٢٠٧٠١.
(٣) ميزان الحكمة ٩/١٣٤، برقم: ٢٠٧٠٢.
(٤) الفرقان: ٦٧.
(٥) الإسراء: ٢٩.

فالشريعة الإسلامية وكما أنّها لا تقبل من الإنسان أن يكون شحيحاً بخيلاً، لا يؤدّي من أمواله ما عليه فيها من واجبات وحقوق شرعية، أو لا ينفق منها شيئاً في سبيل الله، فكذلك لا تقبل منه بحال من الأحوال أن ينفق جميع ما يملك ويبقى بعد ذلك فقيراً محتاجاً يستجدي النّاس، أو يتصدّق في حياته -مثلاً- بجميع ماله ويبقي أولاده وعياله من بعده لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم، بل عليه أن يكون إنفاقه وسطاً دون إسراف أو تقتير.

٤-أنّهم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى، والمنُّ هو: أن يذكر المحسن إحسانه على من أنفق عليه أو أحسن إليه، فيظهر تفضّله عليه، والأذى هو: التطاول والتّفاخر بالإنفاق، وذكره إلى من لا يحب المنفقُ عليه اطلاعه عليه.

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى يعتبر في قوله هذا أنّ ردّ السائل بالمعروف والقول الحسن، أفضل من التّصدّق عليه ثم إتباع الصدقة بالمنِّ أو الأذى.. فالصدقة التي تُتبع بالمن أو الأذى تتحول من كونها عملاً حسناً إلى فعل قبيح، ومن كونها خيراً إلى كونها

(١) البقرة: ٢٦٣.

شرّاً، فلا يستحق فاعلها عليها الجزاء والثواب؛ لأنه سبحانه إنما لا يضيع أجر من أحسن عملاً، لا من كان عمله قبيحاً سيئاً، ولهذا اعتبر القرآن الكريم أنّ من شروط قبول الصدقة أن لا تتبع بالمن أو الأذى، فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

(١) البقرة:٢٦٤.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

من صفات المؤمنين
(يقيمون الصلاة)

من صفات المؤمنين
(يقيمون الصلاة)

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

من صفات المؤمنين التي تعرّضت لها هذه الآية الكريمة، أنهم يمارسون عبادة الصلاة لا على نحو الأداء فقط، بل على نحو الإقامة، حيث تكون صلاتهم واجدة لشرائط الصحة والقبول، فإقامة الصلاة تعني المحافظة عليها بأدائها في وقتها، والالتزام بشرائط صحتها، وممارستها مع سننها ومستحباتها، مراعياً العبد في أدائه لها شرائط قبولها أيضاً، فيأتي بها على الوجهة التي تكون معراجاً للمؤمن، متقرّباً بها إلى الله لترتقي به في سلّم الرفعة والكمال.. فالصلاة لها أثرٌ ودورٌ فعّال في حياة المؤمن، فهي من أفضل الأعمال بعد معرفة الله سبحانه وتعالى، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال لمّا سئل عن أفضل الأعمال

(١) الأنفال: ٢-٤.

بعد المعرفة: (ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة)[1].

وفي رواية أخرى لما سئل عن أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله قال: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: ﴿وأَوْصانِي بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾)؟![2].

وهي عمود الدين، قال الإمام الباقر «عليه السلام»: (الصلاة عمود الدِّين، مثلها كمثل عمود القسطاط، إذا ثبت العمود يثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب)[3].

وهي أصل لقبول أعمال العبد في يوم القيامة، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (أول ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فان قبلت نظر في غيرها، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله بشيء)[4].

وفِي رواية أخرى عنه «صلى الله عليه وآله» قال: (إنّ عمود الدّين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن

(١) مستدرك الوسائل ٣/٤١.
(٢) الكافي ٣/٢٦٤.
(٣) المحاسن ١/٤٤.
(٤) بحار الأنوار ٧٩/٢٢٧.

صحّت نظر في عمله، وإن لم تصح لم ينظر في بقيّة عمله)[1].

وهي ليست مجرّد طقسٍ ديني خال من أيٍّ مضمون ومحتوى، وإنّما لها من الآثار الكثير، فهي مطهرّة من الذنوب وتبعاتها، قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم في سَقَر، قالوا لم نك من المصلين، وإنّها لتحت الذنوب حتّ الورق وتطلقها إطلاق الرّبق)[2].

فذكر «عليه السلام» أنّ من فوائد الصلاة وآثارها أنّها تخلّص فاعلها من الذنوب، فتسقطها من رقبته كسقوط الأوراق الجافة من الأشجار، وأنّها تفك عنقه من أغلال الذنوب كفك أعناق البهائم من الرّبق، وأشار النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» إلى هذه الثمرة للصلاة في أكثر من مناسبة وقول، فينقل عن سلمان الفارسي «رضي الله عنه» أنّه قال: (كنّا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ظل شجرة، فأخذ غصناً منها، فنفضه فتساقط ورقه، فقال: ألا تسألوني عمّا صنعت؟ فقلت: أخبرنا يا رسول الله، قال: إن العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتت عنه خطاياه

(١) بحار الأنوار ٧٩/٢٢٧.
(٢) بحار الأنوار ٧٩/٢٢٥.

كما تحات ورق هذه الشجرة)[1].

وفِي رواية أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» خاطب أصحابه بقوله: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا)[2].

وفِي أخرى أنه «صلى الله عليه وآله» شبهها بعين الماء الحارة، فعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (وشبهها - أي الصلاة - رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحمّة[3] تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في الْيَوْمَ والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن).

فكذلك من صلى الصلوات الخمس مراعياً شرائط صحتها وقبولها لا يبقى عليه شيء من الذنوب.

وفِي رواية عنه «صلى الله عليه وآله» قال: (إذا قمت إلى الصلاة وتوجهت وقرأت أمّ الكتاب وما تيسر من السّور، ثم ركعت فأتممت ركوعها وسجودها، وتشهّدت وسلّمت غفر لك كل ذنب بينك وبين الصلاة التي قدّمتها إلى الصلاة المؤخرة)[4].

(١) بحار الأنوار ٢٠٨/٧٩.

(٢) مسند احمد ٣٧٩/٢.

(٣) اي: عين الماء الحارّة.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢٠٢/٢.

وتنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1] حيث تكون الصلاة مصدراً للشحن المعنوي، تشحن العبد بشحنات إيمانية، تزيد من مستوى إيمانه وترفع من درجة التقوى لديه، لتصل بإيمانه وتقواه إلى مرحلة يشكلان فيها حاجزاً ومانعاً للعبد من اقتحام الفحشاء وارتكاب المنكر.. فالعبد الذي يمتثل الأمر الإلهي المتوجه إليه بأداء عبادة الصلاة، فيعيش المثول بين يدي الحضرة الإلهية خمس مرّات في اليوم والليلة، لا بدَّ وأن يحصل على زخم معنوي يؤثر في إيمانه إيجابيّاً، ليصبح قوّة فعّالة تشكّل رادعاً لهذا العبد عن الإنجرار وراء الأهواء النّفسيّة، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عمّا كانت عليه من الآثام والمنكرات.. تماماً كما حصل لذلك الرجل الذي كان يصلي خلف النبي «صلى الله عليه وآله» ولكنه كان يرتكب الفحشاء، فأخبر النبي عنه فقال «صلى الله عليه وآله»: (إنّ صلاته تنهاه يوماً ما)[2]، فلم يلبث الرجل أن تاب، فبمرور الأيام ونتيجة لتلك الشحنات المعنوية التي كان يحصل عليها بممارسته للصلاة ارتقى إيمانه وتقواه إلى مستوى كانت لهما القدرة على مواجهة النفس وشهواتها، والشيطان ووساوسه، فارتدع عن فعل ما كان يأتي به من الفحشاء، فلهذا

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٧٩/١٩٨.

تعدّ الصلاة حصناً من الشيطان كما في الحديث المروي عن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (الصلاة حصن من سطوات الشيطان)[1].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظائم)[2].

وللصلاة آثار وثمار غير ما ذكرناه أشارت إلى بعضها الرّوايات، منها ما عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنّه قال: (للمصلي ثلاث خصال إذا هو قام في صلاته؛ حفت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، ويتناثر البر عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وملك موكل به ينادي لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل -أي ما انصرف من الصلاة-)[3].

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»: (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسداً لما يرى من رحمة الله التي تغشاه)[4].

إنّ هذه الفوائد والآثار للصلاة مما ذكرناه وما لم نذكره إنّما يحصل عليها أولئك المؤمنون الذين تكون صلاتهم فاعلة مؤثرة،

(١) عيون الحكم والمواعظ، صفحة ٦٦.
(٢) بحار الأنوار ٧٩/٢٠٢.
(٣) الكافي ١/٢١٠.
(٤) الخصال ٦٣٢.

أولئك الذين يقيمون الصلاة فيراعون في فعلهم لها جميع شرائط صحتها وقبولها، فهم الوحيدون الذين يجنون هذه الثمار، كل واحد منهم حسب درجة إيمانه ومستوى مرتبته وقربه من الحق سبحانه وتعالى، لا أولئك الذين لا يراعون إلاّ شرائط الصحة[1]، فضلاً عن أولئك الذي لا يراعونها، فضلاً عن من يتهاون في صلاته، ومن يصدق عليهم أنّهم ساهون عنها.

(١) نعم يحصل هؤلاء على ثواب الإمتثال للأمر الإلهي بفعل الصلاة.

الدعاء

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

الدعاء

قال الإمام الصادق «عليه السلام»:

(... ومن أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة ...)[1].

الحاجة إلى الدّعاء:

إنّ حاجة الإنسان إلى الدّعاء حاجة طبيعية، وذلك لأنّ الإنسان موجود معلول مرتبط بعلّته الأولى، وهو الله سبحانه، فوجود الإنسان وإن كان معلولاً لعدّة علل إلاّ أنّ العلّة الرئيسّة المؤثرة تأثيراً مباشراً في وجوده هو الله عزّ وجل، فلولا إرادته أن يوجد هذا المخلوق لما وجد، ولما أثّرت تلك العلل، فالإنسان متعلّق بخالقه «الله» يفيض عليه في كلّ آن من آنات حياته ولحظة من لحظات وجوده فيمدّه بالحياة، ولو انقطع عنه هذا الفيض الإلهي سينتهي ويزول.

ونستطيع أن نشبّه العلاقة بين الخالق والمخلوق وإمداده بالفيض الإلهي والحياة، بالعلاقة بين المصباح والتيّار الكهربائي، فالمصباح ما دام التيّار الكهربائي موصولاً به فهو يشعُّ ويضيء

(١) الخصال، صفحة ٢٠٢.

وينبثق منه النّور، وإذا انقطع عنه هذا التيار صار قطعاً من الحديد والزّجاج «والبلاستيك» لا فائدة منها، حيث لا يصدر منه أي ضوء أو نور، والإنسان ما دام الفيض الإلهي متّصلاً به فإنّه يستمد حياته من ذلك الفيض المفاض عليه، وإذا انقطع عنه فإنّه ينعدم ويزول.

وهكذا موجود هو في غاية العجز والفقر، وكونه كذلك فهو محتاج إلى ربّه وخالقه الغنّي، يمدّ إليه يده ويخاطبه بانكسار ويعبّر له عن عبوديته وحاجته، ويعترف له بعجزه وفقره، ويستمد منه الغنى والقوّة، ويرتبط به من خلال الدعاء.

فيكون الدّعاء في حقيقته ارتباط المخلوق العاجز بالخالق الغني العظيم، ليعش هذا المخلوق شعوراً بالطمأنينة فيواجه كل مصاعب الحياة بقوّة وثبات مستمداً قوّته وثباته من خالقه العلي القدير.

الدّعاء من أفضل العبادات:

ورد في بعض الرّوايات المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة «عليهم السلام» أنّ الدعاء من أفضل العبادات[1]، ففي الرّواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (أفضل العبادة الدّعاء)[2].

(١) المقصود من العبادات التي يكون الدعاء أفضل منها هي العبادات المستحبّة لا العبادات الواجبة، فالعبادة المستحبّة لا تفضّل على الواجبة.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٢١٧، برقم: ٥٧٤٢.

وعن حنان بن سدير، عن أبيه، قال: قلت للباقر «عليه السلام» أي العبادة أفضل؟ فقال: (ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده، وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته، ولا يسأل ما عنده)[1].

وعن زاراة عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: (إنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء)[2].

ووصف في بعض الرّوايات بأنّه العبادة الكبرى، وفي بعضها بأنّه مخ العبادة، فعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: (جعلني الله فداك، ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان أحدهما أكثر صلاة والآخر أكثر دعاءً فأيهما أفضل؟ قال: كل حسن، قلت: قد علمت، ولكن أيهما أفضل؟ قال: أكثرهما دعاءً أما تسمع قول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وقال: هي العبادة الكبرى)[3].

وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: (الدّعاء مخ العبادة، ولا

(١) بحار الأنوار ٩٠/٢٩٤.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٢١٨، برقم: ٥٧٥٣.

(٣) تفسير نور الثقلين ٤/٥٢٨.

يهلك مع الدّعاء أحد)[1].

فالدّعاء الحقيقي في واقعه يكشف عن اعتقاد العبد بأنّ الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، والقادر على كل شيء، وأنّه مملوك له عزّ وجل، كما ويكشف عن مظهر العبوديّة التي يعيشها هذا العبد لخالقه، وخضوعه بين يدي ربّه مقرّاً له بفقره وفاقته، فيكون هذا المعنى الموجود في الدعاء هو معنى العبادة ذاتها.. فعن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: سمعته يقول: (ادع ولا تقل، قد فرغ من الأمر، فإن الدعاء هو العبادة، إن الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)[2].

ولأنّه عبادة تحمل المعنى المذكور، فيكون مثله مثل باقي العبادات التي توجب كمال النفس والتقرّب إلى الله سبحانه، فيما لو قصد به التّقرب إليه تعالى، ولكونه من أفضل العبادات فقد ورد في بعض الرّوايات أنّه أفضل ما يتقرّب به إلى الله، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (عليكم بالدّعاء فإنّكم لا تقرّبون إلى الله بمثله)[3].

(١) ميزان الحكمة ٣/٢١٧، برقم: ٥٧٣٧.

(٢) الكافي ٢/٤٦٧.

(٣) ميزان الحكمة ٣/٢٢٢، برقم: ٥٧٩٤.

الدعاء تستتبعه الإجابة:

وقول الإمام الصادق «عليه السلام»: (... ومن أعطي الدّعاء لم يحرم الإجابة ...)، هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2]، فيستفاد من قوله تعالى في هاتين الآيتين، ومن قول الإمام «عليه السلام» أنّ الدعاء لو تحقق كان مستتبعاً بالإجابة.. ويطرح البعض هنا تساؤلاً يقول: إنّا ندعو الله عزّ وجل ونسأله أن يقضي لنا بعض الحوائج والطلبات، ولكن لا يستجاب دعاؤنا فيا ترى ما هو سبب عدم الاستجابة؟

وجواباً على ذلك أقول: إنّ الله تعالى وإن رتّب الإجابة على الدعاء بصورة مطلقة، إلاّ أنّ لفظة ﴿ادْعُونِي﴾ وعبارة ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ فيهما إشارة إلى حقيقة مهمّة ونكتة لطيفة وهي؛ أنه سبحانه يقول إنّما أستجيب لكم وأجيب دعاءكم إذا كنتم تدعونني حقيقة، وعليه فيستفاد من ذلك أنّ دعاء العبد إنما يحظى بالإجابة إذا انقطع العبد فيه عمّا سوى الله، وطلب منه سبحانه الشيء بجدٍّ، لم يأمل في ذلك غيره ولم يرج في تنفيذ طلبه وقضاء حاجته شيئاً أو شخصاً سواه، أمّا من يدعو الله وهو في قرارة نفسه قد علّق

(١) غافر: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

أماله على علل وأسباب طبيعيّة، واعتبرها هي المؤثرة والفاعلة غير ملتفت إلى الله المؤثر الحقيقي في هذه العلل، فإن هذا العبد لا يستجاب دعاؤه، لأنّه رجى غير الله وأمّل سواه، وهذا ما يوحيه الخبر المروي عن نبيّنا الأكرم «صلى الله عليه وآله» وهو قوله: (يقول الله عزّ وجل: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني، إلاّ قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه، فإن سألني لم أعطه، وإن دعاني لم أُجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي، إلاّ ضمنت السماوات والأرض رزقه، فإن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له)[1].

ثم إنّ العبد قد يطلب من خالقه عزّ وجل شيئاً، وهو في الواقع ليس له فيه مصلحة، ولو علم هذا العبد بعدم المصلحة فيه لما طلبه وسأله من ربّه، فتكون المصلحة في عدم الاستجابة، سواء أكانت مصلحة دنيويّة أو أخرويّة، وبما أنّه سبحانه لا يفعل ما ينافي حكمته، فلا يستجيب مثل هذا الدعاء، فمثلاً لو أنّ حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يبقى إنسان ما مريضاً لأن في ذلك صلاحه، فإنّه وإن دعا ربّه طالباً منه الشفاء والعافية، لا تستجاب دعوته لأنّ طلبه هذا مناقض لحكمة الباري عزّ وجل.

في رواية عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» يقول: (إنّ

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت ١/٣٣٨.

من عبادي من لا يصلحه إلاّ الفاقة، ولو أغنيته لأفسده ذلك)[1].

فمن لا يصلحه إلاّ الفقر والفاقة يكون الغنى بالنسبة له خلاف المصلحة، فلو أنّ الله سبحانه أغناه والحال هذه يكون ذلك خلاف الحكمة، فمهما دعا هذا العبد ربّه طالباً منه المال والغنى، فالله عزّ وجل من لطفه بهذا العبد لا يستجيب دعاءه، ويبقيه على فقره وفاقته.

فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» أنّه قال: (إنّ كرم الله سبحانه لا ينقض حكمته، فلذلك لا يقع الإجابة في كلِّ دعوة)[2].

وعن أحدهما - الباقر أو الصادق - «عليهما السلام»: (إن الله تبارك وتعالى يقول: إنّ من عبادي من يسألني الشيء من طاعتي لأحبَّه، فأصرف ذلك عنه لكي لا يعجبه عمله)[3].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي وعظمتي وبهائي، إني لأحمي وليي أن أعطيه في دار الدنيا شيئاً يشغله عن ذكري حتى يدعوني فأسمع صوته)[4].

وعنه «عليه السلام» قال: (إنّ المؤمن ليدعو الله عز وجل في

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت ٨٣/٧.
(٢) ميزان الحكمة ٢٢٧/٣ - ٢٢٨، برقم: ٥٨٤٠.
(٣) ميزان الحكمة ٢٤٠/٣، برقم: ٥٩٣٩.
(٤) ميزان الحكمة ٢٤٠/٣، برقم: ٥٩٣٩.

حاجته، فيقول الله عز وجل أخروا إجابته، شوقاً إلى صوته ودعائه[1]، فإذا كان يوم القيامة قال الله عزّ وجل: عبدي! دعوتني فأخرت إجابتك، وثوابك كذا وكذا، ودعوتني في كذا وكذا فأخرت إجابتك، وثوابك كذا وكذا، قال: فيتمنى المؤمن أنه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب)[2].

ومن موانع استجابة الدعاء ممارسة الذنب، فيخلُّ العبد بارتكابه للذنب وبفعله للمخالفة الشرعية بأحد شروط استجابة الدعاء، فيشكل الذّنب حاجباً وحاجزاً أمام الإستجابة، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» أنّه قال: (إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى: للملك لا تقض حاجته واحرمه إياها، فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني)[3].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (المعصية تمنع الإجابة)[4].

(١) وذلك ليظل مرتبطاً بالله فيديم الدعاء والمناجاة، حيث يفضي ذلك إلى المزيد من التقرّب إليه سبحانه، ونيل ثوابه العظيم.

(٢) الكافي ٢/٤٩١.

(٣) الكافي ٢/٢١٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، صفحة ٢٣.

وعنه «عليه السلام»: (لا تستبطئ إجابة دعائك وقد سددت طريقه بالذنوب)[1].

وقال رجل للإمام الصادق «عليه السلام»: إنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال له الإمام «عليه السلام»: (إنكم تدعون من لا تهابونه وتعصونه، وكيف يستجيب لكم؟)[2].

وظاهر من بعض الأدعية المأثورة عن أهل البيت «عليهم السلام» والرّوايات الشريفة الواردة عنهم أنّ هناك ذنوباً مخصوصة لها خاصيّة حجب وحبس الدعاء، يقول الإمام السّجاد «عليه السلام»: (اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدّعاء).

ومن الذنوب التي توجب الحرمان من استجابة الدعاء:

١- ترك واجبي الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر:

فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى عليكم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)[3].

وعن أبي الحسن «عليه السلام» قال: (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم

(١) عيون الحكم والمواعظ، صفحة ٥٢٤.

(٢) إرشاد القلوب، صفحة ١٥٢.

(٣) بحار الأنوار ٢٥٦/٤٢.

فلا يستجاب لهم)[1].

وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (... وإذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي، سلط الله عليهم شرارهم، فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم)[2]

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إن الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرع إليه، فقال أحدهما للآخر: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيته، ولكن أمضي لما أمرني به ربي. فقال: ولكني لا أحدث شيئاً حتى أرجع إلى ربي فعاد إلى الله تبارك وتعالى، فقال: يا رب إني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع إليك، فقال: امض لما أمرتك، فإنّ ذلك الرجل لم يتغير وجهه غضباً لي قط)[3].

ويعدّ التعبير من خلال ملامح الوجه بطريقة تدلُّ على عدم الرّضا بفعل المنكر أو ترك المعروف من أقلِّ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) بحار الأنوار ٩٣/٩٧.

(٢) الكافي ٣٧٤/٢.

(٣) الزهد لحسين بن سعيد الكوفي، صفحة ٦٥.

٢- أكل الحرام:

ومن موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، قال النبي «صلى الله عليه وآله»: (إن العبد ليرفع يده إلى الله ومطعمه حرام، فكيف يستجاب له وهذا حاله؟)[١].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (ومن تغذى بالحرام فالنار أولى به، ولا يستجاب له دعاء ...)[٢].

وقال «صلى الله عليه وآله» أيضاً: (إن أحدكم ليرفع يديه إلى السماء فيقول يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام فأي دعاء يستجاب لهذا؟)[٣].

وروي أن نبي الله موسى «عليه السلام» رأى رجلاً يتضرع تضرعاً عظيماً، ويدعو رافعاً يديه ويبتهل فأوحى الله إلى موسى «عليه السلام»: (لو فعل كذا وكذا لما استجيب دعاؤه، لأن في بطنه حراماً، وعلى ظهره حراماً، وفي بيته حراماً)[٤].

وقال النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: (أطب كسبك تُستجب دعوتك، فإنّ الرجل يرفع اللقمة[٥] إلى فيه فما تستجاب

(١) إرشاد القلوب، صفحة ١٤٩.
(٢) إرشاد القلوب، صفحة ٧٤.
(٣) إرشاد القلوب، صفحة ٦٩.
(٤) الدعوات للراوندي، صفحة ٢٤.
(٥) يريد اللقمة من الحرام.

له دعوة أربعين يوماً)[1].

وهناك ذنوب أخرى كثيرة غير ما ذكرناه، ورد في الرّوايات أنها مما يمنع من استجابة الدعاء، ومنها ما عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين «عليه السلام» أنّه قال: (الذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق مع الاخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول)[2].

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت ١/٩١.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٣٨٢، برقم: ٦٨٥٣.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

من مكفرات الذنوب

من مكفّرات الذّنوب

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1].

من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده ولطفه بهم وتفضّله عليهم، أنّه جعل مجموعة من السبل يتخلّص العبد بواسطها من الذنوب وتبعاتها، ومن ذلك:

١-الدخول في دين الإسلام:

فإنّ المرء إذا كان على غير ملّة الإسلام، كما إذا كان كافراً، أو مشركاً، أو يهوديّاً، أو نصرانيّاً، أو على أيّ ملّة ودين آخر، فإنّه وبمجرّد أن يعتنق الدّين الإسلامي، يتجاوز الحق سبحانه وتعالى عن سيئاته التي عملها قبل إسلامه، فلا يؤاخذه بشيء منها، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (الإسلام يجبُّ ما كان قبله)[2].

وإنّما لا يؤاخذ عليها فيما إذا حسن إسلامه، وكان دخوله فيه

(١) النساء: ٣١.

(٢) بحار الأنوار ١٠١/٣٧١.

من منطلق أنّه الدّين الحق الذي يجب عليه أن يتديّن بشريعته إلى الله سبحانه وتعالى، لا أن يكون دخوله فيه نفاقاً، أو لمصلحة دنيويّة فحسب، أو عن غير اقتناع وإيمان، فإذا كان كذلك فيستفاد من بعض الرّوايات أنّه يؤاخذ بكلّ ذنوبه السابقة منها واللاحقة، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (إنّ ناساً أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ما أسلموا فقالوا: يا رسول الله أيؤخذ الرجل منا بما كان عمل في الجاهلية بعد إسلامه؟ فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من حسن إسلامه وصح يقين إيمانه لم يأخذه الله تبارك وتعالى بما عمل في الجاهلية، ومن سخف إسلامه ولم يصح يقين إيمانه أخذه الله تبارك وتعالى بالأول والآخر)[1].

٢- إتيان الحسنات والأعمال الصالحة:

إنّ من آثار وثمار الأعمال الحسنة الصالحة، التي تمارس تقرّباً إلى الله سبحانه وتعالى، أنّ لها خاصيّة تخليص فاعلها من الذنوب وآثار المعاصي، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[2]، وجاء في وصيّة النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر الغفاري «رضي الله عنه»: (اتق الله حيثما كنت، وخالق الناس

(١) الكافي ٢/٤٦١.

(٢) هود: ١١٤.

بخلق حسن، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها)[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (إنّ الله عزّ وجل يكفّر بكلِّ حسنة سيئة، قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾)[2].

وصرّحت الرّوايات الشريفة إلى أنّ هذه الخاصية ثمرة للعديد من الأعمال العبادية، فعن أثر الحج في محو السيئات يقول الإمام الصادق «عليه السلام»: (الحاج على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظ في أهله وماله، وهو أدنى ما يرجع به الحاج)[3].

وهي من ثمار عبادة الصلاة كما هو ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[4]، وما صرّحت به روايات أهل بيت العصمة «عليهم السلام»، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: (تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿مَا

(١) وسائل الشيعة ١٦/١٠٤.
(٢) ميزان الحكمة ٣/٣٨٨، برقم: ٦٨٩٤.
(٣) الكافي ٢/٢٦٢.
(٤) هود: ١١٤.

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[1]، وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الرِّبق، وشبهها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحمة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن)[2].

ومن آثار الصلاة على النبي محمد وآله، ففي الرّواية عن الإمام الرّضا «عليه السلام» قال: (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه، فليكثر من الصلاة على محمد وآل محمد، فإنها تهدم الذنوب هدماً)[3].

ومن آثار إغاثة الملهوف، فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب)[4].

ومن الحسنات التي لها أثر حط الذنوب كثرة السجود، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: (جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أكثر من السجود

(١) المدثر: ٤٢ - ٤٣.
(٢) بحار الأنوار ٧٩/٢٢٥.
(٣) وسائل الشيعة ٧/١٩٤.
(٤) ميزان الحكمة ٣/٣٨٨، برقم: ٦٨٩٩.

فإنّه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر)[1].

وكذلك ورد أنّ من قاتل في سبيله الله فقتل غفرت له ذنوبه، وتجاوز الله عن سيئاته، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (من قتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته)[3].

٣- المرض:

فالمرض الذي يصاب به الإنسان في جسده وإن كان مكروهاً له إلاّ أنّه يحمل في باطنه رحمة من الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن، لما فيه من حط الذنوب والخطايا، فعن الإمام الرّضا «عليه السلام» قال: (المرض للمؤمن تطهير ورحمة، وللكافر تعذيب ولعنة، وإنّ المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب)[4].

وعن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: (إنّ المرض ينقي

(١) ميزان الحكمة ٣/٣٨٩، برقم: ٦٩٠١.
(٢) آل عمران: ١٩٥.
(٣) الكافي ٥/٥٤.
(٤) بحار الأنوار ٧٨/١٣٨.

الجسد من الذنوب كما يذهب الكير خبث الحديد)[1].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (السقم يمحو الذنوب)[2].

وعنه «صلى الله عليه وآله» أيضاً: (ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا)[3].

٤- اجتناب الكبائر:

صرّح الحق سبحانه وتعالى في كتابه المجيد بأن من آثار اجتناب الكبائر من المعاصي هو تكفيره سبحانه عن عباده ما فعلوه من صغائرها، فقال: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[4]، ولعل التعبير بالاجتناب في الآية الكريمة بدلاً من الترك - والله العالم - لكون الاجتناب أبلغ من الترك، كما يقول الرّاغب الأصفهاني في مفرداته[5]، ولمغزى وهو: أنّ اجتناب الشيء إنما يكون بإرادة واختيار من الإنسان وبدافع نفساني داخلي، بينما الترك قد يكون لدافع نفساني داخلي، وقد يكون لدافع خارجي، ولكي يتضح هذا المعنى، ويتبيّن في أي مورد من الترك والاجتناب يكون

(١) ميزان الحكمة ٣/٣٨٦، برقم: ٦٨٧٩.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٣٨٦، برقم: ٦٨٧٦.

(٣) ميزان الحكمة ٣/٣٨٦، برقم: ٣٨٧٧.

(٤) النساء: ٣١.

(٥) المفردات في غريب القرآن، صفحة ٩٩.

ترك واجتناب الكبائر مكفّراً لصغائرها، نقول: أنّ الناس بالنسبة لتركهم الذنوب على أقسام:

قسم يتركها لأنّه غير متمكن من فعله لها، كمن لا يجد خمراً ليشربها، أو امرأة يزني بها، أو مالاً يسرقه، أو رأس مال يستثمره في الربا، ولو أنّه وجد خمراً لشربها، أو امرأة ليزني بها لزنى بها، أو مالاً ليسرقه لسرقه واستولى عليه، أو لو كان عنده مال ليستثمره في الحرام كالربا مثلاً لفعل ذلك، فمثل هذا الشخص يكون تركه لما ذكرناه من المعاصي بسبب خارجي وهو عدم التمكن من فعل هذه المعاصي.

وقسم آخر يكون تركه للمعصية حفاظاً على سمعته وشخصيته ومكانته الاجتماعية، فلو أنها لا تؤثر على سمعته وشخصيته ومكانته الاجتماعية، ولا تسقطه من أعين الناس، لمارسها ولما ترك فعله لها، فهذا القسم من الناس يكون تركه للمعصية أيضاً بدافع خارجي.

وهناك قسم ثالث يترك المعصية لأنّه يرى أنّ المعصية بها مفسدة، فهي تضرّه حيث أنّها تعرّضه إلى العذاب والعقاب، وتبعده عن ساحة القرب الإلهي، وأنّها تجرء على الله جلّ شأنه، ويرى أن الطاعة تنفعه وتجلب له المصلحة، وتقرّبه من الله، فيوّلد كل ذلك عنده حالة تقزز ونفور من المعصية وكراهية لها، فيجتنب

المعاصي وينفر منها لما يعيشه من هذه الحالة النفسية تجاهها، ولذلك يقول علما ء الأخلاق أن اجتناب الكبائر إنما يكون مكفراً للصغائر إذا كان اجتناب العبد لها ناشئاً عن حالة نفسانية داخليّة عنده تجاه هذه المعاصي، لا عن مانع خارجي.

ثم أنّه ظاهرٌ من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1] أن الذنوب تنقسم إلى قسمين، ذنوب كبيرة عبّرت عنها الآية الكريمة بالكبائر، وذنوب صغيرة عبّرت عنها بالسيئات، وهذا التقسيم إنّما هو بلحاظ نسبتها إلى بعضها من حيث الآثار السلبيّة المترتبة على كل ذنب، فمثلاً الكذب على الله ورسوله بأن يُنسب إليهما ما لم يقولاه أو يأمرا به أو ينهيا عنه يكون بالنسبة إلى كذب شخص على آخر بإخباره عن حادثة وقعت وهي لم تقع أكبر، لأن آثار الكذب على الله ورسوله أعظم وأكبر، أو مثلاً الزّنا، فإنّه بالنّسبة لبعض الذنوب الأخرى كالنّظر إلى عورة المرأة المسلمة لغير ضرورة يكون أكبر وأعظم، وأمّا بلحاظ أنّ المعاصي كلّها تتدرج تحت إطار مخالفة الله وعدم الطاعة له في أمره أو نهيه، فإنّها بهذا اللحاظ تكون كبيرة لأنّها تجرءٌ على مقام الذات الإلهية.

ومع كل ذلك فقد ذكر العلماء مجموعة من الضّوابط لتمييز

(١) النساء: ٣١.

المعصية الكبيرة من غيرها، وأهمّها أنّ الكبيرة هي:

١-كل معصية توعّد الله سبحانه عليها بالنّار.

٢- كل معصية نهت عنها الشريعة الغراء نهياً غليظاً.

٣- كل معصية دلّ الدليل على أنّها كبيرة، أو هي أكبر من بعض الذنوب الكبيرة الأخرى أو مثلها.

٤- كل معصية حكم العقل بأنّها كبيرة.

٥- كل معصية تعد في نظر المتشرّعة من الذنوب الكبيرة.

وهناك موارد تكون المعصية فيها كبيرة، وإن كان الذنب الصادر من العبد صغيراً:

● **الإصرار على المعصية الصغيرة:** فالمعصية الصغيرة تتحوّل إلى معصية كبيرة بالمداومة عليها وارتكابها لمرّات عديدة، دون أن يستغفر العبد الله ويتوب إليه منها، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار)[١].

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (إيّاك والإصرار، فانّه من أكبر الكبائر وأعظم الجرائم)[٢].

(١) الكافي ٢/٢٨٨.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت ٤/٤٦.

ونبّه النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين من الإصرار على الصّغائر والتهاون في ارتكابها، لأنّه بالإصرار عليها تكون من حيث الآثار بمنزلة الكبائر، لا سيما في جانب المؤاخذة عليها، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بأرض قرعاء[1]، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإنّ لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)[2].

● **الاستهانة بالذّنب:** بأن يعتبر ما صدر منه من الذنب صغيراً وحقيراً، فهذا الاستصغار والاستهانة مما يجعل من الذنب الصغير كبيراً، فعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (أشد الذنوب ما استهان به صاحبه)[3].

وفي رواية أخرى عنه «عليه السلام»: (أشد الذنوب ما استخف

(١) أي: لا نبات فيها.

(٢) الكافي ٢/٢٨٨.

(٣) وسائل الشيعة ١٥/٣١٢.

به صاحبه)[1].

وعن زيد الشّحام، عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر.

قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك)[2].

● **التجاهر بالذنب والابتهاج به:** بأن يمارس الذّنب متجاهراً به، أو يذكره للآخرين متبجّحاً بارتكابه له، فرحاً مسروراً بذلك، فيكون ذلك ذنباً عظيماً، وإن كان ما فعله من ذنب صغيراً، فعن أمير المؤمنين «عليه السلام»: (إيّاك والمجاهرة بالفجور فإنّها من أشدّ المآثم)[3].

وعن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (إياك والابتهاج بالذنب فان الابتهاج به أعظم من ركوبه)[4].

وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: (من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك)[5].

(١) وسائل الشيعة ٣١٢/١٥.
(٢) الكافي ٢٨٧/٢.
(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت ٢٨١/٢.
(٤) بحار الأنوار ١٥٩/٧٥.
(٥) بحار الأنوار ٣٦/٦.

● **أن تصدر المعصية الصغيرة ممن لهم مكانة اجتماعية خاصة بين النّاس:** كالعلماء مثلاً، فهم مورد اقتداء الناس، فصدور المعصية من مثل هؤلاء إذا كان مما يدعو الآخرين إلى التجرء على فعلها، فهو مما يعد كبيرة وإن كان الذنب الصادر منهم صغيراً، قال تعالى عن نساء نبيّه «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[1]، وذلك لمكانتهن الاجتماعية وقربهّن من النبي «صلى الله عليه وآله» لكونهنّ زوجاته.

٥-الاستغفار من الذنوب والتوبة منها:

ومن الطرق التي جعلها الله عزّ وجل سبيلاً للتخلص من الذنوب هو الاستغفار والتوبة منها، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2]، وقال في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[3].

(١) الأحزاب:٣٠.

(٢) النساء: ١١٠.

(٣) آل عمران: ١٣٥- ١٣٦.

وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: (يا رسول الله إني أذنب، فما أقول إذا تبت؟ قال «صلى الله عليه وآله»: أستغفر الله، فقال: إني أتوب ثم أعود، فقال: كلما أذنبت استغفر الله، فقال: إذن تكثر ذنوبي، فقال «صلى الله عليه وآله»: عفو الله أكثر، فلا تزال تتوب حتى يكون الشيطان هو المدحور)[1].

ومما يجدر التنبيه عليه هنا هو أن من تمامية التوبة من الذنوب المتعلقة بترك فريضة، وجوب أداء هذه الفرائض أو قضائها، وأن من تمامية التوبة من الذنوب المتعلقة بالاعتداء على الآخرين في حقوقهم لزوم ردّ حقوقهم إليهم مما هو قابل للرّد، أو الاستحلال منهم.

(١) وسائل الشيعة ٨١/١٦.

مصطفى

بحوث ومقالات
من هدي الإسلام

الإستغفار

قال الإمام الصادق «عليه السلام»:

(... ومن أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة ...)[1].

أثر الذنوب على الفرد والمجتمع:

للذنوب آثار سلبيّة كثيرة وخطيرة جدّاً على الفرد والمجتمع والأمة والإنسانيّة، وهذه حقيقة أشار إليها كتاب الله المجيد والسّنة الشريفة، فما يواجهه الأفراد والمجتمعات والأمة والإنسانية من مشاكل ومصاعب وأزمات جلّها لها علاقة كبيرة بما يمارسه النّاس من جرائم، وما يرتكبونه من مخالفات شرعية، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[3].

وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (إذا ظهر الزنا

(١) الخصال، صفحة ٢٠٢.

(٢) الروم: ٤١.

(٣) الشورى: ٣٠.

من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض، إلاّ بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)[2].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (ما اختلج[3] عرق، ولا عثرت قدم، إلاّ بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر)[4].

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾:

(١) الكافي ٢/٣٧٤.

(٢) الكافي ٢/٢٦٩.

(٣) اختلج: انفض وتحرّك.

(٤) أمالي الطوسي، صفحة ٥٧٠.

(ليس من التواء عرق، ولا نكبة حجر، ولا عثرة قدم، ولا خدش عود، إلاّ بذنب ولما يعفو الله أكثر...)[1].

وعنه «عليه السلام» قال: (... توقوا الذنوب، فما من بلية ولا نقص رزق إلاّ بذنب، حتى الخدش والكبوة والمصيبة، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ ...)[2].

وعن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)[3].

ولهذا، فاللازم على العبد أن يتقي الذنوب لما لها من الآثار الخطيرة مما ذكرناه وما لم نذكره، ولأنّ ترك العبد للذنب أهون من ارتكابه له ثم التوبة منه، فعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (ترك الذنب أهون من ارتكابه)[4].

فارتكاب الذنب كاستعمال السّم، والتوبة منه كاستعمال الدواء لدفعه، فقد لا يتيسّر الحصول على هذا الدواء، أو لا يكون مؤثراً لشدّة السّم، فهكذا بالنسبة للذنب فقد لا يوفق المذنب للتوبة، أو

(١) الكافي ٢/٤٤٥.
(٢) الخصال، صفحة ٦١٦.
(٣) الكافي ٢/٢٧٥.
(٤) بحار الأنوار ٧٠/٣٦٤.

لا تكون توبته مقبولة.

ولأنّ حال العبد قبل المعصية أفضل منه بعد فعله لها ثم التوبة منها، وذلك لما تخلّفه الذنوب من آثار تلحق بالعبد، لا سيما على جانبه المعنوي «الرّوحي» لا يزول بعضها حتّى مع حصول التوبة، ويمكن الاستشهاد لهذا المعنى بالقول المنسوب للنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً)[1].

أهمية الاستغفار:

فأعظم داء يصاب به الإنسان هو داء الذنوب، فكلُّ داء يهون مع هذا الداء، ولا دواء له إلاّ الاستغفار، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (ألا أدلكم على دائكم ودوائكم، ألا إن داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار)[2].

وفي رواية أخرى عنه «صلى الله عليه وآله» قال: (لكل داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار)[3].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود)[4].

(١) جامع السعادات ١/٦٨.
(٢) كنز العمال ١/٤٧٩.
(٣) مكارم الأخلاق، صفحة ٣١٣.
(٤) ميزان الحكمة ٣/٣٦٩، برقم: ٦٧٤٥.

إنّ البعض يرى أنّه ما دام باب الاستغفار والتوبة مفتوحاً فلا داعي للعجلة والإسراع إليهما، وما دام في العمر متسعٌ فله أن يأخذ نصيبه من متع الدنيا وزينتها، ويعمل على إشباع غرائزه وشهواته من الطرق المشروعة وغير المشروعة، ثم عندما يتقدم به العمر ويصل إلى مرحلة الشيخوخة سيرجع إلى ربّه مستغفراً تائباً، طالباً منه العفو والصفح، فنقول لمثل هذا الساذج من يضمن لك أن تعيش إلى أن تصل إلى هذه المرحلة المتقدمة من العمر؟!

ومن يضمن لك أن تُوفق للتوبة إذا ما سوّفتها؟

خصوصاً وأن من آثار الذنوب -إذا ارتكبت بشكل واسع وكبير- أنّها تشكل حاجزاً ومانعاً عن الرجوع إلى خطّ الاستقامة، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[1]، فمن المعاني التي ذكرها بعضُ المفسرين لهذه الآية الكريمة هو هذا المعنى: أنّ تكذيبهم بآيات الله كان عاقبة لما عملوه من معاصي، أي أنّهم تدرجوا في فعل السيئات والمعاصي شيئاً فشيئاً إلى أن وصل الحال بهم أنّهم كذبوا بآيات الله، فأعمتهم الذنوبُ عن طريق الحق.

ولهذا حريٌّ بالمذنب والعاصي أن يبادر إلى الاستغفار والتوبة طمعاً في غفران الله وستره، فإن تمادى وسوّف التوبة فإنّ ذلك

(١) الروم: ١٠.

له آثار غير محمودة على سيرته وسريرته.

من أسباب تسويف الاستغفار والتوبة:

وهناك أسباب أخرى تجعل بعض المذنبين يؤخرون الاستغفار والتوبة ولا يبادرون إليهما، والشيطان هو أحد هذه الأسباب، فالشيطان وبعد أن يوقع الإنسان في المعصية لا يتركه، بل يستخدم معه كلّ الحيل والمكر؛ ليجعله يسوّف الاستغفار والتوبة، فهدف الشيطان هو أن يوصل أبناء آدم «عليه السلام» إلى عذاب الله في نار جهنم والعياذ بالله، فليحذر الإنسان هذا العدوَّ اللدود الذي أخرج أبويه من الجنة، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾[1].

ومن أسباب عدم التوجه إلى الاستغفار والتوبة هي الذنوب، التي إذا ما أكثر الإنسان منها، فإنّها تؤثر على صفاء نفسه ونقائها إلى أن تصل بها إلى الحالة التي ذكرها اللهُ سبحانه وتعالى في كتابه المجيد في قوله: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2]، فليس المراد بالقلب في هذه الآية هو العضو الموجود في القفص الصدري، والذي يضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم، بل المراد به النفس الإنسانية التي تمثل الجانب المعنويّ من الإنسان، فتصاب

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) المطففين: ١٤.

النفس بسبب كثرة ممارستها للذنوب بالصدأ والرّيْن، وحينها لا تحدِّث الإنسان نفسه بالاستغفار والتوبة والرجوع إلى خطّ الاستقامة، فيستمر في خطّ الانحراف، بل يصل الأمر ببعض المذنبين المنغمسين في فعل المعاصي إلى درجة أنّهم لا يتأثرون بالموعظة والنصيحة، وبعضهم تصل بهم إلى مرحلة خطيرة جداً، بحيث أنّهم يرفضون حتى استغفار الصلحاء لهم، فضلاً عن أن يستغفروا لأنفسهم بأنفسهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾[1].

فالآية الكريمة تتحدث عن جماعة من الناس عاصروا النبي «صلى الله عليه وآله»، أوصلتهم ذنوبهم إلى أنّهم رفضوا الذهاب إلى عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليدخلوا في طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله، وليستغفر الرسولُ لهم الله، ليغفر لهم ما سلف من ذنوبهم، ولكنّهم ﴿**لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ**﴾ فأمالوها إعراضاً ﴿**وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ**﴾ عن طاعة الله وطاعة رسوله، ﴿**وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾ يتعالون ويترفعون عن مجيئهم إليه «صلى الله عليه وآله» ليستغفر لهم.

فما أعجب هذه الحالة المعرضة عن أبواب رحمة الله، ومن

(١) المنافقون: ٥.

هنا علينا أيّها المؤمنون المبادرة إلى التطبيق الصادق للاستغفار فرحمة الله قريب من المحسنين.

كذلك من أسباب تأخير الاستغفار وتسويف التوبة هو التعلق بملذات الدنيا وشهواتها، فالبعض من الناس لا يكتفي بإشباع غرائزه من الطرق التي أحلّها اللهُ عزّ وجل وأباحها لعباده، فيلجأ إلى إشباعها من السبل غير المشروعة، وهذا الصنف من الناس يؤجل الاستغفار والتوبة ويؤخرهما لعلمه أنّه بلجوئه إليهما سيقتصر في إشباع رغباته في حدود المشروعات فقط، وهو لا يريد ذلك، فلا يستعجل الاستغفار والتوبة، معرضاً عن دعوة الله سبحانه وتعالى لعباده في كتابه المجيد إلى الإسراع إلى التوبة، وذلك في قوله: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً*وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[2] أنّ قبول الله لتوبة عبده مشروط بأن لا يتوب المذنب عندما يرى علامات

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) النساء: ١٧-١٨.

الموت أحاطت به، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ فلا توبة للذين يذنبون ويسوّفون التوبة إلى أن يروا علامات الموت وقد أحاطت بهم، فإنّها توبةُ المضطر الذي يريد الخلاص من العقاب الإلهي، لا أنّها توبة النادم العائد إلى ربّه اختياراً، أمّا الذين يتوبون إلى الله تعالى ﴿مِن قَرِيبٍ﴾، أي قبل أن يرووا علامات الموت، وتتبيّن لهم سكراته، تكون توبتهم مقبولة ﴿فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾، لأنّهم صادقون في توبتهم مخلصون في إنابتهم.

إنَّ تسويف الاستغفار والتوبة من أهمّ أسباب سوء الخاتمة، لأنّ العبد لا يزال غارقاً في ذنوبه، يؤجل الاستغفار والتوبة يوماً بعد يوم، إلى أن يفاجئه الموت، وهنا يندم على عمره الذي قضاه في معصية الله عزّ وجل، ويصيح ويصرخ قائلاً: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ولكن هيهات، حيث لا رجوع ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

إنّ ترك الاستغفار وتسويف التوبة، ليس من سمات المتّقين فالمتقون المؤمنون من صفاتهم أنّهم دائموا الاستغفار، قال تعالى واصفاً المتقين: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2]، وقال عنهم في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

(١) المؤمنون: ٩٩.

(٢) الذاريات: ١٨.

ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الحقُّ سبحانه مجموعة من صفات المتقين، ويذكر من جملتها الاستغفار، فالمتقون إذا صدرت منهم معصيةٌ ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾، تذكّروا أنّهم بفعلهم للمعصية تجرؤوا على الله، وأنّهم خالفوه فيما نهى عنه، وأنّه تعالى سيعاقبهم عليها ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، طلبوا غفران الله لذنوبهم ومعاصيهم، وندموا على فعلهم لها، ثم يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾ (وهو استفهام استعطافي، فالقرآن الحكيم يستعطف المذنبين نحو التوبة والاستغفار)[2]، ثم يقول تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ من المعاصي، بل أقلعوا عنها وندموا عليها، فهؤلاء المتقون يعيشون حالة البصيرة التي أشار الحق سبحانه إليها في آية أخرى وذكرها على أنّها من ثمار التقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

(١) آل عمران: ١٣٥-١٣٦.

(٢) تقريب القرآن إلى الأذهان ١/٣٩٤.

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

أمّا غير المتقي، المنغمس في فعل الذنوب والمخالفات الشرعية فإنّه يفتقد الفرقان الذي يميّز به بين الحق والباطل، فيكون عرضة لمصائد الشيطان ووساوسه، فبعد أن انجرّ إلى المعصية ودفعه الشيطان والنفس وشهواتها إليها، يأتيه الشيطان موسوساً له طالباً منه تأخير الاستغفار وتسويف التوبة، وهذا الإنسان بدوره يستمع إلى ما يمليه عليه الشيطان من أباطيل، وكأنها نصائح صديق حميم وناصح أمين، فيؤخر الاستغفار ويسوف التوبة، وهذا جانب مهم ينبغي للغافلين أن يتنبّهوا إليه ويحذروا من مغباته.

إنّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا في القرآن الكريم أنّ الشيطان لنا عدو وعلينا أن نتخذه عدواً، وأن نتعامل معه على هذا الأساس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[2]، فيخاطب الله الناس جميعاً ويقول لهم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ الذي يدعوكم إلى الكفر بالله والشرك به، ويدعوكم إلى العصيان هو ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يريد لكم الشقاء والهلاك والعذاب، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾، أي تعاملوا معه

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) فاطر: ٦.

تعامل العدو مع عدوّه، بأن لا تطيعوه، وتيقظوا لمكره ولخداعه، فاجتنبوه، إن هذا الشيطان ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أنصاره وأعوانه وأتباعه من العصاة والمذنبين ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي من أصحاب النار المستعرة الملتهبة.

ما هو الاستغفار الحقيقي؟:

والاستغفار المطلوب ليس هو قول «أستغفر الله» باللسان فقط، وإنّما له شروط لا بد وأن تتوفر ليكون الاستغفار حقيقيّاً وصحيحاً، فالاستغفار اللساني الذي لا تتوفر فيه شروط الاستغفار ليس له أيّ أثر فعّال، فلا تتحقق التوبة والمغفرة بموجبه، حيث أنّ هذا النوع من الاستغفار يعتبر في نظر الشرع الشريف مجرّد لقلقة لسان لا أكثر من ذلك، فلا بدّ أن يكون الاستغفار ناشئاً من ندم العبد الشديد على حياته الماضية التي قضاها في أجواء الانحراف والطاعة للشيطان والأهواء والشهوات بعيداً عن طاعة الحقّ سبحانه وتعالى، والذي يرافقه العزم بإرادة قويّة وتصميم أكبر على عدم الرجوع إلى ممارسة الذنب وما كان عليه من انحرافات سابقة، فمتى ما كان استغفاره واجداً لهذين الشرطين كان استغفاراً حقيقيّاً، فهذا الاستغفار هو الاستغفار الذي تستتبعه التوبة، والذي أشار إليه الإمام الصادق «عليه السلام» في قوله: (... ومن أعطي الاستغفار لم يحرم من

التوبة ...)، وهو الذي أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

ولا بدّ أن يراعي المستغفر أيضاً أمرين واجبين عليه وهما:

الأول: أن يحصي الفرائض التي فاتته في وقت انحرافه إلى يوم استغفاره، ويقضي كلّ ما فاته من هذه الفرائض كالصلاة والصيام والحج، ويؤدّي الحقوق المالية كالزّكاة والخمس وما لزمه من كفارات، فلا يغني عنها الاستغفار والتوبة، فلا بدَّ من أن يجتهد في قضائها وأدائها ولا يترك في ذمّته شيءٌ منها.

الثاني: أن يؤدي إلى النّاس حقوقهم التي اعتدى عليها أيام انحرافه، وأن يستحلَّ من اعتدائه عليهم في أموالهم وأنفسهم وغير ذلك.

فينقل أن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» سمع شخصاً بحضرته يقول «أستغفر الله»، فقال له: (ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى.

(١) النساء: ١١٠.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم، حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

فعند ذلك تقول أستغفر الله)[1].

وفي الأمر الخامس والسادس من المعاني التي ذكرها الإمام «عليه السلام» للاستغفار، يشير إلى أمرين هما أشبه بجبران ما أضاعه الذنب من كونهما شرطين في صحة الاستغفار والتّوبة، أحدهما: أن يعيش العبد في خوف دائم لعدم علمه بقبول الله عزّ وجل لتوبته، خوفاً يصهر كلَّ ذلك اللحم الذي نبت من السحت والحرام، حتّى ينشأ ويتكوّن مكانه لحم جديد من الحلال.
والثاني: أن يمارس العبادة والطاعة ويكثر منها لترتفع عن نفسه ظلمة المعاصي وينقشع عنها ذلك التكدّر والرّين الذي أصابها بسبب المعصية، فتتنوّر بنور الطاعة، فعن النبي «صلى الله عليه

(١) روضة الواعظين، صفحة ٤٧٩.

وآله» قال: (وجدت الحسنة نوراً في القلب، وزيناً في الوجه، وقوة في العمل، ووجدت الخطيئة سواداً في القلب، ووهناً في العمل، وشيناً في الوجه)[1].

ولما تخلّفه ممارسة الطاعة بشكلها الواسع من ألم للنفس الذي هو نوع من المجاهدة لها، بل هو عقاب لها على ما استأنست به واستلذته من حلاوة المعصية.

(١) كنز العمال ١٦/١١٠.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

قوا أنفسكم وأهليكم نارا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

يلقي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة على المؤمن مسؤوليتين، المسؤوليّة الأولى تجاه نفسه، والثانية تجاه أهله، فيأمره بوقاية نفسه وأهله من نار جهنّم.

وأمّا كيف يقي الإنسان نفسه من نار جهنّم؟! فهذا واضح، لا يحتاج إلى مزيد من التأمل والتفكّر، فإنّ العبد إذا اجتنب فعل ما يؤدّي إلى النّار ويكون السبب في دخولها والعذاب فيها، فإنّه يكون بذلك قد وقى نفسه وأنقذها من النّار، ومعلوم أنّ الذنوب هي سبب ذلك وموجبه، فتكون وقاية النّفس من النّار باجتنابها. ولكي يجتنبها العبد فلا بدّ له من معرفة أسبابها للحد من تأثيرها، وهي كثيرة أذكر منها في حديثي هذا سببين رئيسيين:

(١) التحريم: ٦.

١- النفس الأمارة بالسوء:

وهي حالة من الحالات التي تكون عليها النّفس الإنسانية، حيث يكون الإيمان والتقوى في مراتبهما الضعيفة، فلا يشكلان قوّة مانعة تحجز النفس عن الاتجاه صوب المعصية وفعل المخالفة الشرعية. هذه الحالة التي تكون عليها النفس البشريّة هي التي أشار إليها الإمام زين العابدين «عليه السلام» في مناجاته المعروفة بمناجاة الشاكرين، فقال: (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إنْ مسّها الشر تجزع، وإنْ مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتوبة).

وللحد من تأثير النّفس على الإنسان في دفعه نحو الخطيئة، لا بدّ له من مجاهدة نفسه، ليكبح جماح الشّهوات والرّغبات والغرائز فيها، وليسيطر عليها ويهذّبها ولا يستجيب لها إلاّ في حدود الشرع الشريف فقط.

وجهاد النّفس ليس بالأمر السهل، بل هو صعب وشاق وعسير، يحتاج إلى صبر قوي، فالنبي «صلى الله عليه وآله» وصفه بالجهاد الأكبر، فيروى أنّه «صلى الله عليه وآله» استقبل سريّة قد قدمت

من جهاد العدو، فقال: (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس)[1].

فكما أنّ جهاد العدو لصعوبته يحتاج إلى صبر شديد وقوي يتحلّى به المجاهد، فكذلك المجاهد لنفسه يحتاج إلى أن يتمتع بصر قوي وشديد، أشد وأقوى من الصبر الذي يحتاجه المجاهد في سوح القتال، فنفس الإنسان هي أعدى أعدائه، ففي الرّواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (أعدى عدوّك نفسك الَّتي بين جنبيك)[2].

من طرق مجاهدة النفس محاسبتها:

ومن أهمّ الطرق لمجاهدة النفس هو محاسبتها، فعلى العبد أن يحاسب نفسه حساباً دقيقاً، كما يحاسب الشريك شريكه، بل وأشدُّ من ذلك، عليه أن يخصص جزءاً من وقته، والأفضل أن يكون ذلك عندما يأوي إلى فراشه، فيستعرض ما قام به من أفعال وما صدرت منه من أقوال في طوال ذلك اليوم، فإن كانت متوافقة مع تعاليم وتوجيهات الشرع الشريف ليس فيها معصية أو مخالفة شرعية، فعليه أن يشكر الله العليَّ القدير لما وفقه

(١) الكافي ١٢/٥.
(٢) المحجة البيضاء ٦/٥.

لعمل الخير وفعل الطاعة واجتناب المعصية، وإن كان فيها ما هو معصية ومخالفة شرعية، فعليه أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه، ويطلب منه العفو والصفح عنها، وأن يحاسب نفسه فيوجه لها العتاب واللوم، ويخاطبها -مثلاً- بالقول: يا نفس لم عصيت الله؟ لم تعرّضت لغضب الله؟ لم تجرأت على الله؟ يا نفس ألا تخافين عذاب الله في القبر وعرصات القيامة؟ ألا تخافين النّار والعذاب فيها؟ وما شاكل ذلك من العتاب والمحاسبة.

والرّوايات عن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام» التي تحثّ على محاسبة النّفس كثيرة منها ما عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال لأبي ذر الغفاري «رضي الله عنه»: (يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حلٍّ ذلك، أم من حرام؟)[1].

وعن الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» قال: (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»[2].

(١) ميزان الحكمة ٩/٥١٣ - ٥١٤، رواية رقم: ٢٢٤٢٨.
(٢) الكافي ٢/٤٥٣.

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر)[1].

٢- الشيطان:

ويعتبر الشيطان بوساوسه للإنسان أحد الأسباب والعوامل الرئيسية لدفع الإنسان نحو ارتكاب المعاصي، وجرّه إلى اقتراف السيئات، فهو بطرقه المختلفة ووسائله العديدة والكثيرة، يسعى وبكل ما لديه من حيل وسبل، أن يوقع الإنسان في المخالفات الشرعية، ليبعده عن الله سبحانه وتعالى ويوصله إلى نار جهنم والعياذ بالله.

فكما أنّ للإنسان عدوٌ داخلي وهو النّفس، فكذلك له عدوٌ خارجي وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[2]، فهو منذ اليوم الذي سقط في صراعه مع الحق، واستحق بذلك اللعنة، صرّح بعدائه للإنسان وأعلن شنّ الحرب عليه، فقطع هذا اللعين على نفسه عهداً بإضلال الإنسان وإغوائه فقال كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾[3]، وقال: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**

(١) وسائل الشيعة ١٦/٩٨.

(٢) فاطر: ٦.

(٣) النساء: ١١٩.

* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1]، وقال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[2]، ولذلك يأمر اللهُ سبحانه وتعالى بأن يُتعامل مع الشيطان على هذا الأساس، على أساس أنّه عدو، فلا يُسمع لوساوسه، وأن يحارب في كلِّ سبله وأهدافه وغاياته ووسائله، فيسد المسلم جميع المنافذ التي يمكن للشيطان أن ينفذ إليه من خلالها ليغويه ويوقعه في الضلالة والعصيان، وعليه أن ينمي جانب الوازع الديني لديه بتقوية إيمانه وتقواه، لأنّ ذلك عامل رئيسي في حجز العبد ومنعه عن الاتجاه صوب المعصية والمخالفة الشرعية.

وأما المسؤولية الثانية التي ألقتها الآية الكريمة على عاتق العبد، فهي مسؤولية وقاية أهله من نار جهنم، فكما أنّه مسئول عن نفسه ويجب عليه أن يقيها من عذاب الله في نار جهنّم، فكذلك عليه مسؤولية أخرى وهي وقايه أهله من جهنم وعذابها.

أما كيف يقي أهله من نار جهنم؟ فإنّ الواجب عليه هو أن يقوم بتوجيههم وإرشادهم إلى فعل كل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وينهاهم عن كل ما يغضبه سبحانه، فيقوم بواجب الأمر بالمعروف

(١) الأعراف: ١٦ - ١٧.

(٢) النساء: ١١٨.

والنهي عن المنكر في وسط عائلته، وبين أفراد أسرته وأرحامه.

فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ جلس رجل من المؤمنين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي وكلفت أهلي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك)[1].

وسأل أبو بصير الإمام الصادق «عليه السلام» عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ كيف أقيهم؟ قال: (تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهى الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك)[2].

إن التزام أفراد المجتمع المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان ذلك في نطاق الأسرة أو في خارج هذا النطاق، مما يؤدي إلى استقامة أفراد المجتمع وصلاحهم، ولذلك شددت الشريعة الإسلامية في النهي عن ترك هذين الواجبين واعتبرت التقاعس عن أدائهما مما يؤدي إلى فساد المجتمع، وأشارت الروايات الشريفة إلى الآثار السلبية الخطيرة لترك هذين الواجبين، قال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»

(١) الكافي ٥/٦٢.

(٢) الكافي ٥/٦٢.

في وصيته لابنيه الحسن والحسين «عليهما السلام»: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)[١].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلاّ أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)[٢].

وقال الإمام علي «عليه السلام»: (إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه)[٣].

وعن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: (كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله)[٤].

(١) بحار الأنوار ٢٥٦/٤٢.
(٢) بحار الأنوار ٧٨/٩٧.
(٣) وسائل الشيعة ١٣٤/١٦.
(٤) الكافي ٥٩/٥.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

الكذب..حرمته..أنواعه..آثاره

الكذب .. حرمته .. أنواعه .. آثاره

قال الإمام الباقر «عليه السلام»:

(إنّ الله عزّ وجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب)[1].

والمراد من الشراب في هذه الرّواية هو الأشربة المحرّمة كالخمر، وكون الكذب شر من الشراب فلربما بلحاظ بعض أقسامه؛ كالكذب على الله سبحانه وتعالى وحججه من الأنبياء والأئمة «عليهم السلام»، وكبعض أفراد شهادة الزّور والتي بسببها تزهق الأرواح البريئة وتنتهك الحقوق والأعراض.

تعريف الكذب:

الكذب هو الإخبار المزيف عن الواقع، بإعطاء صورة للسامع تخالف الحقيقة، وهذا الداء الخبيث والمرض العضال قد أصيب به الكثيرون، فتجد الإبن يكذب على أبيه، والأب يكذب على ابنه، والزوج يكذب على زوجته، والزوجة تكذب على زوجها، والصديق يكذب على صديقه، والأخ يكذب على أخيه، وتجد البائع يكذب

(١) الكافي ٢/٣٣٩.

على المشتري، والمشتري يكذب على البائع، فالكثيرون مصابون بهذا الداء إلاّ من عصم الله سبحانه وتعالى.

ومع أنَّ الشريعة الإسلامية حرّمت الكذب إلاّ أنَّ البعض يمارسه بدون أدنى تحرّز أو تردد، فأصبح الكذبُ عند الكثيرين شيئاً عادياً وكأنه لم تأت في حقّه حرمةٌ من الله سبحانه وتعالى.

الأدلّة على حرمة الكذب:

ونهت الشريعةُ الإسلاميةُ عن الكذب، فقال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[1].

وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾[2].

وقال: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾[3].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (... وإياكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وما يزال الرّجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يكتب عند الله كذّاباً)[4].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك

(١) النحل: ١٠٥.

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) الجاثية: ٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٨٤.

به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له)[1].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدّقٌ، وأنت له به كاذب)[2].

وينقل أن رجلاً جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: (يا رسول الله، ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا صدق العبد بر، وإذا برّ آمن، وإذا آمن دخل الجنة، قال: يا رسول الله، وما عمل النار؟ قال: الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل - يعني النّار-)[3].

إنّ البعض يختلق الأخبار والأحداث، ويُخبر بغير الواقع بهدف المزاح وإضحاك الآخرين، وهذا لا يجوز، فالكذب حرام في الجد والهزل، فقد أثر عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له)[4].

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين «عليه السلام»: (اتقوا الكذب الصغير والكبير في كل جد وهزل ، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترئ على الكبير...)[5].

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥/٥.
(٢) سنن أبي داود ٢/٤٧١.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢/١٧٦.
(٤) بحار الأنوار ٧٤/٨٨.
(٥) بحار الأنوار ٦٩/٢٣٥.

وقال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده)[1].

إنّ بعض الآباء والأمهات يدفعون أبناءهم إلى التخلق بهذا الخلق الذميم «الكذب» من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فمثلاً عندما تُطرق الباب أو يرنُّ جرسُ الهاتف، يقول الأب أو الأم للأبناء إذا سأل أحدٌ عني فقولوا له أني غير موجود، فأنت أيها الأب تدفع بهذا التصرف أبناءك إلى الكذب وتعوّدهم عليه، وأنت أيتها الأم كذلك تدفعين أبناءك إلى الكذب وتعودينهم عليه، فإذا كنت أيها الأب مشغولاً ولا تريد أن تقابل من جاء وطرق باب بيتك فقل لابنك أن يعلم الطارق بأنك تعتذر عن اللقاء معه الآن، وإذا كنت أيتها الأم لا ترغبين في التحدث مع من اتصل بك، فأخبري ابنك أو ابنتك بالاعتذار عن التحدث مع المتصل أو المتصلة .. فعلى الوالدين أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم لا قدوة سيئة.

من الآثار السلبيّة للكذب:

والشريعة الإسلامية إنّما حرّمت الكذب لما له من آثار سلبية وخطيرة، فهو يُؤدي إلى سوء سمعة الكاذب وسقوط كرامته، وانعدام الثقة به، فلا يصدق وإن نطق بالصدق، ولا يثق الناس بمواعيده، ولا تقبل شهادته، وإذا تفشى الكذب فإن ثقة الناس

(١) مرآة العقول ١٠/٣٣٢.

تضعف ببعضهم البعض، أو تتعدم، وهو باعث على تضييع الوقت لتمييز الواقع الحقيقي من المزيف والصدق من الكذب، فلهذه الأسباب وغيرها من الآثار السلبية الكثيرة للكذب حرّمت الشريعة الإسلامية الكذب.

فالكذب من الصفاتِ الذميمة القبيحة جداً، والتي تعود على صاحبها بالذم والسقوط من أنظار أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، فهو مرض يصيب النفس الإنسانية بعد أن كانت طاهرة، فحريٌّ بمن ابتلى بهذا الذنب والخلق الذميم أن يُعالج نفسه منه، فما هو السبيل لكي يعالج الإنسان نفسه من هذا المرض ويعيدها إلى ما كانت عليه من الطهارة ؟

أولاً: عليه أن ينظر ويتأمل في مفاسد الكذب الكثيرة والخطيرة وآثاره السلبية عليه في الدنيا والآخرة، ويكفي قول النبي «عليه السلام» : (... وإياكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وما يزالِ الرّجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يكتب عند الله كذّاباً) في ابتعاد الإنسان عن هذا الخلق الذميم.

ثانياً: عليه أن يستعرض فضائل الصدق ومآثره الجليلة، ويكفي في بيان مآثر الصدق الحديث المأثور عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (عليكم بالصدق، فإنّ الصدق

يهدي إلى البر، وإنّ البر يهدي الجنّة، وما يزال الرّجل يصدق ويتحرّى الصدق حتّى يكتب عند الله صدِّيقاً ...)[1].

الكذب على الله والأنبياء والأئمة:

إنّ شدّة حرمة الكذب تختلف باختلاف أنواعه، فأعظمه الكذب على الله سبحانه وتعالى، وعلى النبيِّ الأكرم محمد «صلى الله عليه وآله» وعلى سائر الأنبياء وعلى الأئمة «عليهم السلام»، فهذا من أبشع صورِ الكذبِ وأعظمِه إثماً، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد : ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَايُفْلِحُونَ**﴾[3]، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من تعمّد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النّار)[4].

وفي رواية أخرى عنه «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النّار)[5].

(١) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٨٤.

(٢) الزمر: ٦٠.

(٣) النحل: ١١٦.

(٤) صحيح البخاري ١/٣٥.

(٥) بحار الأنوار ١٠٤/٢٠٠.

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من حدّث عنّي بحديث وهو يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين)[١].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من كذب عليَّ متعمّداً بني له بيت في جهنم يرتع فيه)[٢].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (إنّ كذباً عليّ ليس ككذب على غيري، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النّار)[٣].

فإنّ عاقبة الكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليست كعاقبة الكذب على غيره من سائر النّاس، لأنَّ كلامه «صلى الله عليه وآله» في أمور الدِّين، وفعله وتقريره تشريع للأمّة كالقرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٤]، فمن يكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإنّه يكون قد كذب على الله عزّ وجل أيضاً، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ**﴾[٥].

وقال الإمام الصادق «عليه السلام»: (الكذب على الله وعلى

(١) سنن ابن ماجة ١/١٥.
(٢) جزء أبي طاهر السلفي، رواية رقم: ٢٠.
(٣) صحيح البخاري ٢/٨٢.
(٤) النجم: ٣ - ٤.
(٥) العنكبوت: ٦٨.

رسوله «صلى الله عليه وآله» من الكبائر)[1].

ولقد أفتى الفقهاء بأن الكذب على الله عزّ وجل ورسوله «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام» مما يفطر الصائم، ففي الخبر الرّواية عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: (إن الكذبة لتفطر الصائم، قلت: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟! قال: ليس حيث ذهبت؛ إنّما ذلك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمة صلوات الله عليه وعليهم)[2].

اليمين الكاذبة:

ومن صنوف الكذب الذي يعدُّ من كبائر الذنوب «اليمين الكاذبة»، بأنْ يقسم المرء باللهِ عزّ وجل كاذباً، فهي جرأةٌ على الله سبحانه وتعالى بالحلف به كذباً وبهتاناً، وقد وردت النصوص الشريفة في ذمّها والتحذير منها، فعن الإمام محمد الباقر «عليه السلام» قال: (إن في كتاب علي «عليه السلام» أنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الدّيار بلاقع من أهلها وتنغل الرحم - يعني انقطاع النسل-)[3].

ومعنى بلاقع: أي : تذرُها قاعاً صفصفاً خاليةً من كلِّ خير

(١) الكافي ٢/٣٤٠.
(٢) الكافي ٢/٣٤٠.
(٣) الكافي ٥/٤٧٧.

بعد أن كانت عامرة.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب، فقد بارز الله عزّ وجل)[1].

ومن ذلك ما روي عن النبي المصطفى «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (إيّاكم واليمين الفاجرة، فإنها تذر الدّيار من أهلها بلاقع)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (ليس شيءٌ أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيءٌ أعجل عقوبة من البغي وقطيعة الرّحم، واليمين الفاجرة تدع الدّيار بلاقع)[3].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله بالمحاربة، وإنّ اليمين الكاذبة تذر الديار بلاقع من أهلها، وتورث الفقر في العقب)[4].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (اليمين الصبر الفاجرة تدع الديار بلاقع)[5].

ومن أعظم أقسام اليمين الكاذبة أن يحلف العبد بالله

(١) الكافي ٥/٤٧٦.
(٢) الكافي ٧/٤٣٦.
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٣٦.
(٤) بحار الأنوار ١٠١/٢٨٣.
(٥) الكافي ٥/٤٧٦.

كاذباً ليقتطع باليمين الكاذبة حقَّ المسلم لنفسه أو لغيره، فعن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول:(من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان).

قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مصداقه من كتاب الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من اقتطع حقّ امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النّار وحرّم عليه الجنّة، فقال له رجلٌ وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن قضيباً من أراك)[2].

فمن يحلف يميناً كاذبة ليعتدي على حق مسلم فهو بهذا الفعل يُسيءُ إلى نفسه إساءة كبيرة بتعريضها لسخط الله سبحانه وتعالى وعقابه، ويسيءُ أيضاً إلى من اختلق عليه اليمين الكاذبة بإضاعة حقوقه، ويُسيءُ كذلك إلى من سانده وساعده، حيث شجّعه على بخس حقوق النّاس وابتزاز أموالهم وهدر كراماتهم.

(١) صحيح مسلم ٨٦/١، والآية من سورة آل عمران، وهي الآية ٧٧.
(٢) سنن الدّارمي ٢٦٦/٢.

واليمين التي يؤاخذ عليها العبد هي تلك اليمين المعقودة في القلب والمقصودة لتوثيق الكلام، أما ما ينطق به الإنسان من أيمان بحكم جريان العادة فلا يؤاخذ عليه، وهو من لغو اليمين، كالقول في غضون الكلام لا والله، وبلى والله، فإنه لا يقصد بذلك الحلف ولا تأكيد القول، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ**﴾[1]، على أنّ الشريعة الإسلامية توجه المسلم لأن ينزه الله تبارك وتعالى عن أن يجعله عرضة لأيمانه، حتى وإن كان صادقاً في قوله، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[2].

شهادة الزور:

ومن أقسام الكذب الذي يعد من الكبائر «شهادةُ الزور» وهي مما نهى الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه المجيد بقوله: ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[3]، كما ورد التحذير منها والنهي عنها في السّنة الشريفة، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال : (لا

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) البقرة: ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) الحج: ٣٠.

ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة)[1].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (... ومن شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذميّ أو من كان من النّاس، علّق بلسانه يوم القيامة وهو مع المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (يبعث شاهد الزور يوم القيامة يدلع لسانه في النّار كما يدلع الكلب لسانه في الإناء)[3].

فشهادة الزور بكافة أفرادها وأنواعها من المعاصي الكبيرة التي توعد الله سبحانه وتعالى عليها بالنّار على لسان نبيّه الأكرم، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار)[4].

وعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (ما من رجل يشهد بشهادة زور على مال مسلم ليقطعه إلاّ كتب الله له مكانه صكاً إلى النار)[5].

وأعظمها وأشدّها إثماً وعذاباً شهادة الزور التي بسببها

(١) الكافي ٣٨٣/٧.
(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٨٦.
(٣) ميزان الحكمة ١٥٠٨/٢.
(٤) الكافي ٤١٨/٥.
(٥) الكافي ٤١٨/٥.

يُسفك دم الإنسان ظلماً وبدون حق.

فإنّ شاهد الزّور بارتكابه لهذا الذنب العظيم يظلم نفسه حيث أنّه يعرّضها لعذاب الله سبحانه وتعالى وعقابه العظيم الأليم، ويظلم من شهد عليه حيث أخذ منه ماله أو حقّه أو أزهقت روحه بشهادة شاهد الزور الكاذبة، وظلم الآخرين قولاً وفعلاً مما حذرت منه الشريعة الإسلامية، وزجرت عنه أشدّ الزجز، قال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾(١)، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(٢)، وقال عزّ من قائل: ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾(٣)، وقال: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(٤)، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (... وإياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هوالظلمات يوم القيامة)(٥).

فهو يؤدي إلى سخط الله عزّ وجل ونقمته على عبده الظالم، وبالتالي فهو موجب من موجبات الدخول إلى النار، ففي الرواية عن النبيّ الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (إنه ليأتي العبد

(١) الصف: ٧.
(٢) آل عمران: ٥٧.
(٣) الحج: ٥٣.
(٤) القصص: ٣٧.
(٥) بحار الأنوار ٣٠٤/٧٠.

يوم القيامة وقد سرته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار)[1].

وفي رواية أنّه «صلى الله عليه وآله» قال: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إنّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)[2].

وإنّ على الصراط في يوم القيامة عقبة لا يجتازها عبد بمظلمة حتى يقتص منه، وهي من أصعب وأشدّ العقبات التي يواجهها العبد في ذلك اليوم، ففي الرواية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: (بين الجنّة والعبد سبع عقاب،أهونها الموت ، قال أنس: قلت: يا رسول الله فما أصعبها؟ قال: الوقوف بين يدي

(١) ميزان الحكمة ٢/١٧٧١.

(٢) صحيح مسلم ٨/١٩.

الله عز وجل إذا تعلّق المظلومون بالظالمين)[1].

ومن الآثار السلبية لشهادة الزور أنّها سبب في تخليص المجرم من عقوبة الإجرام، وفي ذلك تشجيع له على الاستمرار في ممارسة الجرائم، وإغراء للآخرين بفعلها اتكالاً على وجود شهود الزور الذين سيخلصونهم من تبعات جرائمهم، وبالتالي فإنّ في تفشي شهادة الزور تعمّ الفوضى في المجتمع وتنتشر فيه الجرائم وتنتهك الأعراض وتسلب الحقوق وترتكب الجرائم بشكل واسع وكبير.

والشريعة الإسلامية كما أنّها نهت عن شهادة الزور نهت أيضاً أشدّ النهيّ عن أخذ المسلم ما ليس له بحق، والذي حكم له به بسبب شهادة الزور أو بسبب عدم تقديم صاحب الحقّ الأدلة الكافية التي تثبت له هذا الحق، فعن النبيّ «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطعه به قطعة من النار)[2].

وكما أنّ الشريعة الإسلامية نهت عن شهادة الزّور فكذلك أمرت بالإدلاء بالشهادة بالحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

(١) ميزان الحكمة ٢/١٧٧١.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٣/٤٧٢.

بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وأقِيمُوا الشَّهادةَ لله﴾[2]، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من شهد شهادة حقّ ليحمي بها حقّ امرئٍ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مدّ البصر، يعرفه الخلائق بإسمه ونسبه)[3].

ونهت نهياً شديداً عن التقاعس عن أدائها أو كتمانها، قال الله تعالى: ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾[4] وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[6]، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور)[7].

وعنه «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (لا ينقضي كلام شاهد الزور بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النّار، وكذلك من كتم الشهادة)[8].

(١) المعارج: ٣٣.
(٢) الطلاق: ٢.
(٣) الكافي ٣٨١/٧.
(٤) البقرة: ٢٨٢.
(٥) البقرة: ١٤٠.
(٦) البقرة: ٢٥٣.
(٧) كنز العمال ١٥/٧.
(٨) الكافي ٤١٨/٥.

الموارد التي يجوز فيها الكذب:

وجوّز الفقهاء الكذب إذا تحقق به دفع ضرر عن النفس أو العرض أو المال، سواء كان الضرر متوجهاً إلى نفس المكلّف أو إلى غيره، بل في بعض الموارد حيث يكون الضرر على النفس أو العرض أو المال كبيراً أو فاحشاً يصبح الكذب واجباً، بل ورد في بعض الرّوايات جواز الحلف بالله كاذباً من أجل نجاة النفس وصيانة العرض والمال، فعن الإمام الصادق «عليه السلام»، عن آبائه «عليهم السلام»، عن الإمام علي «عليه السلام»، قال: (احلف بالله كاذباً ونجّ أخاك من القتل)[1].

وعن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: (... وسألته عن رجل يخاف على ماله من السلطان فيحلف لينجو به منه؟ قال «عليه السلام»: لا جناح عليه. وسألته: هل يحلف الرجل على مال أخيه كما على ماله؟ قال «عليه السلام»: نعم)[2].

وبالرغم من أنّ الكذب جائز في الموارد التي ذكرناها إلاّ أن الضرر إذا كان قليلاً كما إذا كان الضرر واقعاً على المال ويمكن تحمله فإنه ينبغي حينئذ تحمل هذا الضرر وعدم الكذب، ففي الرّواية عن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» أنّه قال: (علامة

(١) تهذيب الأحكام ٨/ ٣٠.

(٢) الكافي ٧/ ٤٤٠.

الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك)[1].

وكذلك إذا كان قادراً على دفع الضرر بالتورية فإن الأحوط أن يدفع الضرر بها لا بالكذب.

ومن الموارد التي جوّز الفقهاء فيها الكذب مورد الإصلاح بين المتخاصمين المؤمنين إذا كان طريق الإصلاح بينهما منحصراً في الكذب ولا يمكن بغيره أو بالتورية فيجوز حينئذ الكذب ولا إثم على الكاذب، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (المصلح ليس بكاذب)[2].

وفي وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لأمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (يا علي إنّ الله عزّ وجل أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد)[3].

وجوّزوا أيضاً الكذب على العدو في الحرب فيما إذا كان الكذب سبباً في الانتصار والغلبة عليه.

(١) وسائل الشيعة ١٢/٢٥٥.

(٢) الكافي ٢/٣١٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤/٣٥٤.

النّميمة

بحوث ومقالات
من هدي الإسلام

النّميمة

عن الإمام الباقر «عليه السلام» قال:

(محرّمة الجنة على القتاتين المشائين بالنميمة)[1].

إنّ من مسؤوليات أفراد المجتمع المسلم أن ينطلقوا من منطلق إصلاح ذات البين ورفع سوء التفاهم وتهيئة الأرضية المناسبة لإيجاد جوّ من حسن الظنّ بين الأطراف المتخاصمة والمتنازعة، وأن يعملوا على تهدئة التوتر الناشئ من حالات الشجار والتنازع، قال الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[3].

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي أيوب الأنصاري: (يا أبا أيّوب، ألا أدلّك على صدقة ترضي اللّه ورسوله بموضعها؟

(١) الكافي ٢/٣٦٩.

(٢) الحجرات:١٠.

(٣) النساء : ١١٤.

فقال: بلى، قال: تصلح بين النّاس إذا تفاسدوا، وتقرّب بينهم إذا تباعدوا)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (صدقة يحبّها الله: إصلاح بين النّاس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا)[2].

بل إنّ الشريعة الإسلامية جوّزت الكذب في مورد الإصلاح مع عدم إمكان التورية، بذلك أفتى الفقهاء، وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (المصلح ليس بكاذب)[3].

إلاّ أنّه ومع الأسف الشديد فإنّ البعض ولأسباب ودوافع مختلفة يتحركون على خلاف ذلك وفي العكس من هذا الاتجاه، وكأنّهم يريدون صبّ الزيت على النّار ويرغبون في اتساع دائرة الخلاف والشجار والتنازع، ومن المعلوم أنّ هؤلاء الأفراد، سيشتركون في إثم جميع المفاسد المترتبة على هذا التنازع والشجار، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**﴾[4].

فهؤلاء هم الذين يوصلون كلام هذا الطرف إلى الطرف الآخر وبالعكس بهدف الوقيعة بينهما، وهذا هو معنى النميمة، فهي:

(١) ميزان الحكمة ٥/١٠٣، برقم: ١٠٦٧٢.
(٢) ميزان الحكمة ٥/١٠٣، برقم: ١٠٦٧٦.
(٣) الكافي ٢/٢١٠.
(٤) النساء: ٨٥.

أن يسعى أحدٌ في نقل كلام شخص - سواء بالتكلّم أو الكتابة أو الإشارة أو بغير ذلك - على شخص إلى ذلك الشخص المقول فيه ذلك الكلام، وغالباً ما يكون بقصد الإيقاع بينهما، فتعدّ النميمة من أكبر عوامل التفرقة، وأهمّ أسباب الفتنة، فهي تقضي على الوئام والمحبة بين أفراد المجتمع، وتفضي إلى نشر الضغائن والأحقاد والكراهية بينهم[1]، وتارة تؤدي إلى تلاشي الأسر وتمزيقها، بل وتكون أحياناً سبباً إلى سفك الدماء المحرّمة، ولذلك ورد الذّم الشديد في الشريعة الإسلامية للنميمة والنمام، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[3]، فالهمزة هو النّمام، واللّمزة هو من يغتاب الآخرين ممن لا تجوز غيبتهم.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء

(١) قال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (إيّاك والنميمة فإنّها تزرع الضغينة وتبعد عن الله والناس) (موسوعة أحاديث أهل البيت ١١/٤٣١).

(٢) القلم: ١٠ - ١٣.

(٣) الهمزة: ١.

المعايب)[1].

وعن الصادق «عليه السلام» قال: (وإنّ من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين، ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدّور، ويكشف الستور، والنمام أشر من وطئ على الأرض بقدم)[2].

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي ذرّ الغفاري: (يا أبا ذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عزّ وجل في الآخرة)[3].

وعنه «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (لا يدخل الجنّة نمام)[4].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم والجحيم، ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى، فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاؤه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها أداء ولا وفاء، ثم يقال للذي يجر أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما

(١) الكافي ٢/٣٦٩.
(٢) بحار الأنوار ١٠/١٦٩.
(٣) بحار الأنوار ٧٤/٨٩.
(٤) مسند أحمد ٥/٣٩١.

بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي، ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيسندها فيحاكي بها، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (أربعة لا يدخلون الجنّة: الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتات، وهو النّمام)[2].

وتعدّ النميمة من موجبات عذاب القبر، بهذا صرّحت الروايات الشريفة، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال: (من مشى بنمية بين اثنين سلّط الله عليه ناراً تحرقه في قبره إلى يوم القيامة)[3].

وينقل أن النبي «صلى الله عليه وآله» مرّ على قبرين فقال: (أمّا أنّهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أمّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله.

قال الرّواي: فدعا بعسيب رطب فشفه باثنين ثم غرس على

(١) وسائل الشيعة ٣٠٨/١٢.
(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت ٤٢٨/١١.
(٣) قناطر الخيرات ١٦٩/٣.

هذا واحداً وعلى هذا واحداً، ثم قال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)[1].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب الرّجل عن أهله)[2].

فكلُّ ما أوردناه من آيات وروايات يدلُّ على أنّ النميمة من المعاصي الكبيرة، والذنوب العظيمة والخطيرة جدّاً، وأنّ خطر النميمة على النّمام عظيم، لا سيما في عالم البرزخ والآخرة، إلاّ أن يتوب من ذنبه، ويصلح قدر الإمكان ما أفسده بنميمته، فعسى أن يتوب الله عليه وأن يشمله برحمته.

من بواعث النميمة:

وأمّا بواعث ودوافع النميمة فعديدة، ومنها التودد والتزلف للمحكي له بنم الأحاديث إليه، ومنها هتك المحكيّ عنه والوقيعة فيه بهدف إلحاق الأذيّة به، وأذيّة المؤمن مما ورد التحذير منها والنهي عنها، فهي ذنب عظيم وإثم كبير، ففي الرّواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قال الله عزّ وجل: (ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلاّ مؤمن

(١) صحيح مسلم ١/١٦٦.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت ١١/٤٢٧.

واحد مع إمام عادل لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجعلت لهما من إيمانهما أنساً لا يحتاجان إلى أنس سواهما)[1].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» عن الله تعالى أنّه قال: (من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من آذى مؤمناً فقد آذني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعونٌ في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)[3].

كيف نتعامل مع النّمام؟:

إنّ النمام يعد من أخطر المفسدين وأشدّهم إساءةً وشرّاً للناس، فيجب الحذر منه وإفشال خططه ومساعيه في الإفساد بين النّاس، وتعكير صفو المودة والمحبة بينهم، وذلك باتباع الإرشادات والنصائح التالية:

أولاً: أن لا يصدّق النّمام لأنّه فاسقٌ لتلبسه بذنب النميمة وغيرها من الذنوب التي تكون النميمة سبباً في ارتكابها والتلبس بها، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**

(١) موسوعة الإمام الصادق ١٥/٢٢٤.

(٢) الكافي ٢/٣٥١.

(٣) الحكم الزاهرة ص ٢٩٦.

أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

ثانياً: أن ينهى النمام عن النميمة ويقبّح له فعله؛ لأنّ ذلك واجبٌ من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: أن لا يظنّ المؤمن سوءاً بأخيه المؤمن بمجرّد النّم عليه، لأنّ سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

رابعاً: أن لا تبعث النميمة المؤمن على التجسس للتحقق من حقيقة ما نقله له النمام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[3].

خامساً: إذا تيقن المؤمن من صدق ما نقله له النّمام، فعليه أن لا يقابل الإساءة بالإساءة، وإنّما عليه أن يعفو ويصفح ويسامح فإنّ العفو عن المسيء والصفح عنه من الأخلاق الفاضلة الحميدة، وقد امتدح الله المتخصلين بهذه الخصلة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

(١) الحجرات:٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

وروي أنّ أمير المؤمنين «عليه السلام» أتاه رجل يسعى إليه برجل، فقال له الإمام «عليه السلام»: (يا هذا إن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن أحسنت القيلة أقلناك، قال: بل تقيلني يا أمير المؤمنين)[1].

(١) بحار الأنوار ٢٦٦/٧٢.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

الظلم..حرمته..أنواعه..آثاره

الظلم .. حرمته .. أنواعه .. آثاره

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

(الدّواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، فامّا الدّيوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[1]، وأمّا الدّيوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً قط فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأمّا الدّيوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فمظالم العباد بينهم، القصاص لا محالة)[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

(ألا وإنّ الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شديد، ليس

(١) النساء: ٤٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤/٥٧٦.

هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه)[1].

وقال الإمام محمد بن علي الباقر «عليه السلام»:

(الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد)[2].

يعرّف الظلم بأنّه وضع الشيء في غير موضعه، فالمشرك بالله ظالم، لأنّه جعل الشرك مكان التوحيد، والعاصي ظالم لأنّه جعل المعصية مكان الطاعة. وفي الرّوايات الشريفة المذكورة قسّم الشرك إلى ثلاثة أنواع، أحدها الظلم الذي لا يغفره الله، وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى عن لسان لقمان ضمن موعظته لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[3]. والشرك بالله يقع في مقامات عديدة، فيكون في مقام الذات الإلهية، باعتقاد تعدد هذه الذّات، وأنّ لهذا الكون أكثر من إله، ويكون في الصفات، باعتقاد أنّ لله عزّ وجل صفاتاً زائدة على ذاته، قال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» في

(١) بحار الأنوار ٧/٢٧١.
(٢) الكافي ٢/٣٣١.
(٣) لقمان: ١٣.

إحدى خطبه: (وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله)[1].

ويكون في الأفعال باعتقاد وجود فاعل آخر مع الله له الاستقلاليّة في التأثير في هذا الكون وفي الأمور والأفعال، ويكون في الطاعة باعتقاد أنّ هناك من تجب طاعته مع الله كطاعته سبحانه ممن لم يأمر الله بطاعته وامتثال أمره، ويكون في مقام العبادة باعتقاد أنّ هناك من تجب عبادته مع الله أو من دون الله، فمن يؤمن بوجود إله أو آلة مع الله، وبأن لله عزّ وجل صفاتاً زائدة على ذاته، أو من يعتقد بأنّ الموت والحياة والرّزق وغيرها من الأفعال المختصّة بالله صادرة عن غيره وبدون إذنه سبحانه، وأنّ هناك أحداً تجب طاعته كطاعة الله ممن لم يأمر الله بطاعته، وأنّه شريك مع الله في الطاعة، وأنّ هناك من تجب عبادته غير الله أو مع الله، فمثل هذا الشخص الذي يعتقد بهذه العقائد أو بعضها يكون مشركاً بالله سبحانه وتعالى، وبالتالي فهو ظالم لأنّه جعل الشرك مكان التوحيد، وهذا النوع من الظلم لا يغفره الله إلاّ أن يتوب العبد منه في هذه الحياة الدّنيا.

(١) منهاج البراعة ١/١٨٢.

والثاني من أنواع الظلم هو ظلم العبد لنفسه بارتكابه المعاصي والذنوب الصغيرة منها والكبيرة، من ترك صلاة، وصوم، وحج مع الاستطاعة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرّحم، والغيبة، والنّميمة، والكذب، والبهتان، واحتقار المؤمنين والاستهزاء بهم، وقذف المحصنات، والامتناع عن دفع الحقوق الشرعية، من زكاة وخمس، وغير ذلك من المخالفات الشرعية التي يرتكبها العباد بعدم الائتمار بالأوامر الإلهية، والإنتهاء عن النواهي الإلهية.

فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (كتب رجلٌ إلى أبي ذرٍّ «رضي الله عنه»: يا أبا ذر، أطرفني بشيءٍ من العلم، فكتب إليه: إنّ العلم كثيرٌ ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تُحبُّهُ فافعل. قال: فقال له الرّجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبّه؟! فقال له: نعم، نفسك أحبُّ الأنفس إليك، فإذا عصيت الله فقد أسأت إليها)[1].

وهذا النوع من الظلم قابل للغفران، شريطة أن لا تكون الكبيرة كفراً أو شركاً، لأنّه سبحانه لا يغفر لكافر كفره ولا لمشرك شركه إلاّ بالتوبة والعود من الكفر والشرك إلى الاعتقاد به سبحانه وتوحيده.

نعم هناك بعض الذّنوب لها جهتان، جهة تتعلق بحق الله

(١) ميزان الحكمة ٥/٣١٤، برقم: ١١٦٥١.

سبحانه وتعالى بالتجريء عليه في أمره أو نهيه، وأخرى تتعلق بحقّ النّاس فيما إذا كان الذنب اعتداءاً على الغير ماديّاً أو معنوياً، فتدخل في جهتها الأولى في هذا النّوع من الظلم، وفي جهتها الثانية في النّوع الثالث التالي من أنواع الظلم.

وهل غفران الذنوب من هذا القسم مشروط بالتّوبة؟ بمعنى أنّها لا تغفر إلاّ إذا تاب العبد منها .. أم أنّها قابلة للغفران بدون التوبة لمن شاء الله أن يغفرها له من عباده تفضلاً منه سبحانه؟

الظاهر هو الثّاني، وذلك لأنّ الذنوب جميعها قابلة للغفران بالتّوبة بما فيها الكفر والشّرك، فلا فرق بين الذنوب من القسم الأوّل والذّنوب من هذا القسم، فلا يكون على ذلك للتفكيك بين القسمين وجه.

وإلى هذا ذهب المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾، قال العلامة الطبرسي: (وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة، أنه نفى غفران الشرك ، ولم ينف غفرانه على كل حال، بل نفى أن يغفر من غير توبة، لأنّ الأمة أجمعت على أنّ الله يغفر بالتوبة، وإن كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب، وعندنا على وجه التفضل، فعلى هذا، يجب أن يكون المراد بقوله ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ أنه

يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين، وإنّما قلنا ذلك، لأنّ موضوع الكلام الذي يدخله النفي والاثبات، وينضم إليه الأعلى والأدون، أنّ يخالف الثاني الأول، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الرجل: أنا لا أدخل على الأمير إلاّ إذا دعاني ، وأدخل على من دونه إذا دعاني، وإنمّا يكون الكلام مفيداً إذا قال وأدخل على من دونه وإنْ لم يدعني)[1].

ثم تعرّض العلاّمة الطبرسي إلى الجواب على إشكال يورد في المقام وهو أنّه على هذا القول - أنّ الذنوب غير الكفر والشرك قابلة للغفران بدون شرط التوبة - هو إغراء بفعل المعصية، فقال دفعاً لهذا الإشكال:

(ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة إنّ في حمل الآية على ظاهرها، وإدخال ما دون الشرك في المشيئة، إغراء على المعصية، لأنّ الإغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران، فأمّا إذا كان الغفران متعلّقاً بالمشيئة فلا إغراء فيه، بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء، على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين، في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[2] و﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[3]. وبهذا وردت الأخبار

(١) مجمع البيان ٣/٨٩.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الزمر: ٩.

الكثيرة من طريق الخاص والعام، وانعقد عليه إجماع سلف أهل الأسلام)[1].

ثمّ تعرّض أيضاً للرّد على الإشكال القائل بأنّ في غفران ذنوب بعض العباد دون البعض الآخر ميلٌ منه سبحانه وتعالى ومحاباة، وهو غير جائز عليه، فقال:(ومن قال: إنّ في غفران ذنوب البعض دون البعض، ميلاً ومحاباة، ولا يجوز الميل والمحاباة على الله، وجوابه: إنّ الله متفضل بالغفران، وللمتفضل أن يتفضل على قوم دون قوم، وإنسان دون انسان، وهو عادل في تعذيب من يعذبه، وليس يمنع العقل ولا الشرع من الفضل والعدل)[2].

وردّاً على من خصّ قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ بالصّغائر، أو بما وقعت التوبة منه، قال: (ومن قال منهم : إن لفظة ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ ، وإن كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك ، فإنما نخصها ونحملها على الصغائر، أو ما يقع منه التوبة، لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد، فجوابه : إنّا نعكس عليكم ذلك، فنقول: بل قد خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية، وهذا أولى لما روي عن بعض السلف أنه قال: «إنّ هذه الآية استثناء على جميع القرآن» يريد به والله أعلم جميع آيات الوعيد،

(١) مجمع البيان ٣/٨٩.

(٢) مجمع البيان ٣/٨٩.

وأيضاً فإن الصغائر تقع عندكم محبطة، ولا تجوز المؤاخذة بها، وما هذا حكمه ، فكيف يعلق بالمشيئة ، فإن أحداً لا يقول إنّي أفعل الواجب إن شئت، وأرد الوديعة إن شئت)[1].

وأمّا النّوع الثالث من أنواع الظلم، فهو ظلم العباد بالاعتداء عليهم ماديّاً أو معنويّاً كالاعتداء على الغير بقتله، أو ضربه، أوشتمه، أو سبّه، أو بهته، أو اغتيابه، أو بخسه حقوقه، أو مصادرة أمواله، أو انتهاك عرضه، وما شابه ذلك من أنواع الظلم وصنوفه مما يدخل تحت هذا القسم، ومنه ظلم الإنسان لأبنائه بإهمال تربيتهم تربية صحيحة، وإغفالِ توجيههم إلى وجهة الخير والصلاح، والتعامل معهم بالتعسف والقسوة والعنف، والتضييق عليهم في النفقة .. ومنه عدم قيام الرجل بالواجبات التي أوجبتها الشريعة الإسلامية عليه تجاه زوجته، فمن لا يلتزم بالحقوق الواجبة عليه تجاه زوجته يكون ظالماً لها، وكذلك المرأة التي لا تلتزم بما عليها من حقوق تجاه زوجها، فإنّها تكون ظالمة لزوجها .. ومنه ظلم المرء لوالديه بعدم مراعاته ما عليه من حقوق لهما، كبرهما والإحسان إليهما .. وهذا النّوع من الظلم هو الظلم الذي لا يدعه الله سبحانه وتعالى، فإمّا الاسترضاء والعفو أو القصاص.

(١) مجمع البيان ٣/٨٩.

وحذّرت الشريعة الإسلامية من ظلم الآخرين، وزجرت عنه أشدّ الوجر، فيجب على المرء الاجتناب عنه لما له من آثار سلبية خطيرة وعظيمة في العوالم الثلاثة «عالم الدّنيا، وعالم البرزخ، وعالم الآخرة»، قال تعالى: ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[4]، وقال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (الظلم في الدّنيا بوار، وفي الآخرة دمار)[5].

وقال «عليه السلام» وهو يتبرأ من الظلم: (والله لأن أبيت على حسك السعدان مُسَهَّداً ، أو أجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيءٍ من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البِلى قُفُولُها، ويطول في الثرى حلولها)[6].

(١) البقرة: ٨٦.

(٢) آل عمران: ٥٧.

(٣) الحج: ٥٣.

(٤) يوسف: ٣٢.

(٥) ميزان الحكمة ٥/٢٩٩، رواية رقم: ١١٥٢٣.

(٦) ميزان الحكمة ٥/٣٠٠، برقم: ١١٥٣٠.

وقال «عليه السلام»: (والله لو أعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلُبُها جُلْبَ شعيرة ما فعلته)[1].

ومن آثار الظلم في عالم الدّنيا أنّه سبب لزوال النّعم، قال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (بالظلم تزول النعم)[2].

وقال «عليه السلام»: (الظلم يُزِلُّ القدم، ويسلب النّعم، ويُهلك الأمم)[3].

وقال «عليه السلام»: (ليس شيءٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نِقْمَتِهِ من إقامة على ظلم؛ فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين «المظلومين»، وهو للظالمين بالمرصاد)[4].

وأنّه موجبٌ لنقصان عمر الظالم، فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (من ظلم قصم عمره)[5].

إضافة إلى الكثير من المصاعب والمصائب والمضائق التي يصيب الله بها الظالم في هذه الحياة الدّنيا كعقاب له على ظلمه، ومنها تأثيره على نفس الظالم، حيث تصاب نفس الظالم بالكدر

(١) ميزان الحكمة ٥/٣٠٠، برقم: ١١٥٣١.
(٢) ميزان الحكمة ٥/٣٠١، برقم: ١١٥٤٦.
(٣) ميزان الحكمة ٥/٣٠٠، برقم: ١١٥٢٤.
(٤) ميزان الجكمة ٥/٣٠١، برقم: ١١٥٤١.
(٥) ميزان الحكمة ٥/٣٠١، برقم: ١١٥٤٢.

والظلمة والرّين، فتقسوا نفسه وتنعدم فيها الرّحمة، وهذا ما يوحيه الخبر المروي عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وهو قوله: (إياكم والظلم، فإنّه يُخْرِبُ قلوبكم)[1].

ومن آثاره السلبية في عالم البرزخ - وهي الفترة من يوم الموت وإلى وقت الحشر - أنّ العبد يكون في هذا العالم عرضة إلى العذاب والعقاب الإلهي، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (البرزخ: القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة)[2].

فمن كانت أعماله في الدّنيا صالحة تنعّم في قبره، وأمّا من كانت أعماله غير صالحة كما إذا كان قد مارس الظلم لعباد الله كان قبره حفرة من حفر النيران، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران)[3].

وأمّا آثار الظلم في عالم القيامة، فهو بئس الزّاد ليوم المعاد. قال النبي «صلى الله عليه وآله»: (وإيّاكم والظلم، فإنّ الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة)[4].

وعنه «صلى الله عليه وآله» قال: (إنه ليأتي العبد يوم القيامة

(١) ميزان الحكمة ٥/٢٩٩، برقم: ١١٥١٩.
(٢) البرهان في تفسير القرآن ١/٧٨.
(٣) بحار الأنوار ٦/٢٠٥.
(٤) ميزان الحكمة ٥/٣٠٢، برقم: ١١٥٥٣.

وقد سرته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل ، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار)[1].

وعنه «صلى الله عليه وآله» قال: (من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فليستحللها من قبل أن يأتي يوم ليس هناك درهم ولا دينار، فيؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فيتزايد على سيئاته)[2].

وفي رواية أنّه «صلى الله عليه وآله» قال: (أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار)[3].

(١) ميزان الحكمة ٥/٢٩٩، برقم: ١١٥٢٠.

(٢) فقه الصادق ٢/٣٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/٣٦.

وعلى الصراط عقبة لا يجتازها عبد وفي عنقه مظلمة لأحد، فإمّا أن يعفو عنه أو يقتص منه، وهي من أصعب العقبات التي يواجهها العبد في يوم القيامة، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (بين الجنة والعبد سبع عقاب، أهونها الموت، قال أنس: قلت: يا رسول الله فما أصعبها؟ قال: الوقوف بين يدي الله عزّ وجل إذا تعلق المظلومون بالظالمين)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال في قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2]: (قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة)[3].

(١) كنز العمال ٣/٥٠٤، برقم: ٧٦٢٦.

(٢) الفجر: ١٤.

(٣) الكافي ٢/٣٣١.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

الزنا..حرمته..آثاره

الزّنا..حرمته..آثاره

قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[1].

لمصلحة تقتضيها الحكمة الإلهية[2]، زوّد الله الإنسان بالغريزة الجنسيّة، وتعد هذه الغريزة من أقوى الغرائز وأشدّها إلحاحاً على الإنسان لإشباعها والاستجابة لها، فجعل سبحانه لذلك طريقاً مشروعاً وهو الزّواج والاقتران بين الرجل والمرأة من خلال عقد النّكاح الشرعي، وحرّم إشباعها بأي طريق آخر غير هذا الطريق، باستثناء مقاربة الرجل للأمة حسب الضوابط المذكورة في كتب الفقه، ولذلك يعدّ الزّنا - وهو مقاربة الرّجل للمرأة جنسيّاً بدون عقد نكاح شرعي أو ملك يمين - طريقاً غير مشروع لإشباع هذه الغريزة، وهو من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، والأعمال الفاحشة التي تؤدّي إلى فساد الفرد والمجتمع، وسبب رئيسي في هدم الكيان الأسري، والقضاء على العفّة والحياء، وانتشار الأمراض الجنسية الفتّاكة، واختلاط الأنساب، وتفشي ظاهرة

(١) الإسراء:٢٣.

(٢) ومنها بقاء النوع الإنساني.

اللقطاء وغير ذلك .. ولما سئل الإمام الصادق «عليه السلام» عن الحكمة من تحريم الزنا، فقيل له: لم حرّم الله الزّنا؟ قال: (لما فيه من الفساد، وذهاب المواريث، وانقطاع الأنساب، لا تعلم المرأة في الزّنا من أحبلها، ولا المولود يعلم من أبوه، ولا أرحام موصولة، ولا قرابة معروفة)[1].

وفي رواية عن الإمام الرضا «عليه السلام» يبين فيها بعض علل تحريم الزنا، فقال: (حُرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد)[2].

فهو من المنكرات المقيتة الشنيعة والذنوب الكبيرة العظيمة التي توعّد الله سبحانه عليها بالنّار والعذاب الشديد، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[3].

وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (ما من ذنب

(١) ميزان الحكمة ٤/٣٢، برقم: ٧٨٤٤.

(٢) ميزان الحكمة ٤/٣٢، برقم: ٧٨٤٥.

(٣) الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له)[1].

وكان مما كتبه الإمام الرّضا «عليه السلام» إلى المأمون العبّاسي ضمن كتاب يبيّن له فيه بعضاً من شرائع الدّين: (واجتناب الكبائر، وهي قتل النفس التي حرّم الله عزّ وجل، والزّنا)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقر نطفته في رحم يحرم عليه)[3].

وعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (ألا أخبركم بكبر الزنا؟ قالوا: بلى، قال: هي امرأة توطئ فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها، فتلك التي لا يكلمها الله ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم)[4].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: الشيخ الزاني، والديوث، والمرأة توطئ فراش زوجها)[5].

(١) الكبائر، صفحة ٨٣.
(٢) وسائل الشيعة ١٥/٣٢٩.
(٣) الكافي ٥/٥٤١.
(٤) الكافي ٥/٥٤٣.
(٥) الكافي ٥/٥٣٧.

وعن الإمام الباقر «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال)[1].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (من فجر بامرأة ولها بعل، انفجر من فرجهما من صديد واد مسيرة خمسمائة عام، يتأذى أهل النار من نتن ريحهما، وكانا من أشد الناس عذاباً)[2].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (لما أسري بي مررت بنسوان معلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم)[3].

إنّ إشباع شهوة الجنس على طريق الزنا، هو سير في الوجهة غير الصحيحة، وسلوك لطريق خطرة جدّاً، تكون عواقبها وخيمة، فمن يلقي نظرة على المجتمعات الإباحية التي انتشرت فيها جريمة الزنا بشكل واسع وعلني فظيع، وينظر إلى آثارها الخطيرة من انتشار اللقطاء وضياع الأبناء، وتفكك الأسر، وفساد التربية، وجرائم قتل الأزواج والزّوجات، وتفشّي الأمراض الجنسيّة الخطيرة، كالزهري، والسيلان، والسل، ومرض نقص

(١) الكافي ٢/٣١١.

(٢) ميزان الحكمة ٤/٣١، برقم: ٧٨٤٠.

(٣) ميزان الحكمة ٤/٣١، برقم: ٧٨٣٩.

المناعة «الأيدز» يدرك جيّداً دقّة التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

مقدّمات الزنا:

١- النظر:

لقد أرادت الشريعة الإسلامية إبعاد المسلم عن المعصية بشتى الطرق والوسائل، ومن الطرق التي استخدمتها لمنع وقوع معصية الزّنا أنّها وضعت أحكاماً شرعية لكل ما يمكن أن يكون مقدّمة للزنا، ومن ذلك أنّها جعلت ضوابط شرعية تتعلق بمسألة نظر الرجل إلى المرأة الأجنبيّة، ونظر المرأة الأجنبيّة إلى الرجل الأجنبي، وذلك لأنّ نظر الرجل إلى ما هو مثيرٌ عادة للرجال من جسد المرأة، ونظر المرأة إلى الأماكن المثيرة للنساء من جسد الرجل يعدُّ من أهم الأسباب الممهدة للوقوع في معصية الزنا، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه)[1].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (النظرة إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن صرف بصره عنها رزقه الله

(١) كنز العمال ٣٢٩/٥.

عبادة يجد حلاوتها)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها لله عز وجل لا لغيره، أعقبه الله إيماناً يجد طعمه)[2].

وعنه «عليه السلام» أيضاً: (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة)[3].

ومما ورد في النّهي عن النظر المحرّم والتحذير منه، ما روي عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (من نظر إلى محاسن أجنبية عن شهوة، صب في عينيه الآنك يوم القيامة)[4].

وعنه «صلى الله عليه وآله» قال: (اشتد غضب الله عز وجل على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير ذي محرم منها، فإنها إن فعلت ذلك أحبط الله كل عمل عملته، فإن أوطأت فراشه غيره كان حقّاً على الله أن يحرقها بالنار بعد أن يعذبها في قبرها)[5].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (يا علي لا تتبع النظرة النظرة،

(١) كنز العمال ٣٢٩/٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه ١٨/٤.
(٣) وسائل الشيعة ١٩١/٢٠.
(٤) المبسوط ١٥٣/١٠.
(٥) ميزان الحكمة ٣١/٤، برقم: ٧٨٣٨.

فإنّ لك الأولى، وليس لك الآخرة)[1].

فيستفاد من هذه الرّواية أنّ النظرة الإتفاقية التي تقع من الرجل على أماكن مما يحرم عليه النظر إليها من جسد المرأة الأجنبيّة ليست بمحرّمة، إنّما المحرّم هو تلك النظرة التي تكون عن قصد وإصرار، والتي عادة ما يرافقها التلذذ الشهوي والريبة.

وأمر الله عزّ وجل المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، فقال: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2].

وبموجب الأدلة الشرعية المتعلّقة بمسألة النظر حدد فقهاء

(١) مسند أحمد ٥/٣٥٢.

(٢) النور: ٣٠ - ٣١.

المذهب ما يجوز للرجل النظر إليه وما لا يجوز من بدن المرأة الأجنبية، وما يجوز للمرأة النظر إليه وما لا يجوز النظر إليه من بدن الرجل الأجنبي، فقال الفقيه المعاصر السيد علي الحسيني السيستاني «دام ظلّه» : (لا يجوز للرجل أن ينظر إلى ما عدا الوجه والكفين من جسد المرأة الأجنبية وشعرها، وكذا الوجه والكفين منها إذا كان النظر بتلذذ شهوي أو مع خوف الوقوع في الحرام، بل الأحوط استحباباً تركه بدونهما أيضاً، وكذلك الحال في نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي على الأحوط لزوماً في غير ما جرت السيرة على عدم الالتزام بستره كالرأس واليدين والقدمين ونحوها، وأما نظرها إلى هذه المواضع منه فالظاهر جوازه من دون تلذذ شهوي وعدم خوف الوقوع في الحرام، وإن كان الأحوط استحباباً تركه أيضاً)[1].

٢-التبرج:

يعتبر تبرّج المرأة وسفورها - أي إخراجها لشعرها وأجزاء من سائر جسدها - أحد الأسباب المهدة أيضاً للوقوع في فاحشة الزّنا، وما يرى اليوم في المجتمعات لا سيما الغربيّة منها من انتشار هذه الجريمة بشكل كبير، يعتبر تكشّف النساء وسفورهن العمدة الأساس والسبب الأكبر في تفشيها وانتشارها.

(١) المسائل المنتخبة للسيد السيستاني، صفحة ٢٩٧.

فخروج المرأة كاشفة عن شعرها لابسة الملابس القصيرة والضّيّقة التي تظهر من جهة أجزاء من جسدها كالساقين والزّندين وبعضاً من الصّدر والعنق، ومن جهة أخرى مجسّمة لأجزاء من جسدها كالخصر والإليتين والثديين، وشفافة في بعض المناطق تحكي ما تحتها، وواضعة على جسدها وملابسها أنواعاً مختلفة من العطور والرّوائح الزّكية، إنّ خروج المرأة بهكذا كيفيّة مما يثير كوامن الغريزة الجنسيّة عند الرّجل، وبالتّالي فإنّه يقع أمام خيارين لا ثالث لهما - إن لم تكن عنده زوجة يطفئ عن طريقها ثوران غريزته، وكان الوازع الديني لديه ضعيفاً - فهو إمّا أن يضغط على غريزته ويكبتها ويتعرّض للأمراض النّفسيّة والعصبيّة، وإما أن يتّجه إلى الزنا أو اللواط أو غيرهما من المحرّمات الأخرى لإشباع شهوته.

فلهذا ألزمت الشريعة الإسلامية المرأة بستر جسدها، وفرضت الحجاب عليها وألزمتها به كي لا تكون وسيلة لإيقاع الرجل في المعصية والمخالفة الشرعية بسبب ممارسته لجريمة الزنا أو غيرها من الجرائم الجنسية الأخرى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾[1].

(١) الأحزاب: ٥٩.

ففي هذه الآية يأمر الحق سبحانه وتعالى نبيّه الأكرم محمداً «صلى الله عليه وآله» بأن يأمر زوجاته وبناته وسائر نساء المسلمين، بالستر والحجاب الكامل، ويمنعهن عن التبرّج والسفور، لأنَّ الحجاب يكسب المرأة سمعة طيبة، وتعرف بالعفة والصلاح في المجتمع ولا تتعرض للمضايقات والنظرات الخائنة والاعتداء من قبل المستهترين والمنحرفين، ولأن الحجاب يحجز المرأة المتحجبة عن أطماع أهل الفسق والمجون، لأنّها مستورة الجمال والمحاسن ولا يظهر منها شيء، ولأن الفاسق إذا عرف أن المرأة صالحة ومحافظة لا يتعرض لها بسوء، ففي هذه الآية دلالة صريحة واضحة على وجوب الحجاب وأنه يحفظ المرأة من الفساد والاعتداء، ويدفع عنها شرَّ الفاسقين.

وقال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

(١) النور: ٣١.

وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه الأكرم محمداً «صلى الله عليه وآله» بأن يأمر المؤمنات بالغض من أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يجوز لهن النظر إليه، كما يجب عليهن ستر وتغطية فروجهن عن أنظار الرّجال والنساء.

ثم ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها، فلا يظهرن ويكشفن عن زينتهن المخفية وإن كانت لا تظهر أجسامهن، أي فلا يجوز لهن الكشف عن لباس يتزين به تحت اللباس العادي أو العباءة.

ثم يطلب سبحانه منه «صلى الله عليه وآله» أن يأمر النساء بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن، والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وينسدل على صدرها، والمراد بالجيوب الصدور، والمعنى كما قال العلامة الطباطبائي «قدّس سرّه» في تفسيره الميزان: (وليلقين بأطراف مقانعهن على صدورهن ليسترنها بها)[1].

وبعد ذلك تذكر الآية الكريمة مجموعة من الناس والأشخاص الّذين يجوز للنساء كشف حجابهن وإظهار زينتهن أمامهم، فيجوز لهن ذلك أمام الزوج والأب وأب الزوج والأبناء وأبناء الزوج من غيرهن، والأخوة وأبناء الأخوة وأبناء الأخوات، ونسائهن، وهن النساء من المسلمات، أي يجوز للمسلمة أن تكشف حجابها وتظهر

(١) الميزان ج١٥/١١٢.

زينتها للمسلمة، ولا تكشف لغيرها من غير المسلمات، وعلّة ذلك كما ورد في بعض الروايات أنهن -أي غير المسلمات - من المحتمل أن يصفن لأزواجهن ما شاهدنه من زينة النساء المسلمات، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (لا ينبغي للمرأة أن تكشف بين يدي اليهودية والنصرانية فإنّهن يصفن ذلك لأزواجهن)[1].

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ و (لظاهر هذه العبارة مفهوم واسع ويدل على أنّه بإمكان المرأة الظهور دون حجاب بحضور عبدها إلاّ أن بعض الأحاديث صرّحت بأن ذلك يعني فقط الظهور بين الجواري على الرغم من أنّهن غير مسلمات، ولا يشمل هذا الحكم العبيد، ففي حديث للإمام أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: لا ينظر العبد إلى شعر مولاته.

ويستفاد من أحاديث أخرى تعميم هذا الحكم على الجواري والعبيد إلاّ أنَّ ذلك خلافاً للاحتياط)[2].

﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ وهم الذين لا رغبة حنسية لديهم أصلاً كالعنين والخصي.

﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ وهم الأطفال الذين ليس لهم شعور بالجنس، أما الأطفال الذين بلغوا

(١) تفسير نور الثقلين ٣/٥٩٣.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١١/٧٥.

مرحلة برزت فيهم رغبة في الجنس وقدرة لهم على ممارسته فيجب على النساء المسلمات أن يتحجبن بحضورهم .

ثم ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (أي على النساء أن يتحفظن كثيراً ويحفظن عفتهن ويبتعدن عن كل شيء يثير نار الشهوة في قلوب الرّجال حتى لا يتهمن بالانحراف من طريق العفة.

ويجب أن يراقبن تصرفهن بشدة بحيث لا يصل صوت خلخالهن إلى آذان الرجال غير المحارم، وهذا يؤكد دقة نظر الإسلام إلى هذه الأمور)[1].

واستناداً إلى هذه الآية وغيرها من آيات كتاب الله المجيد والرّوايات المأثورة عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» والمأثورة عن الأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام»، فقد أفتى الفقهاء بوجوب الستر على المرأة، بأن تستر شعرها حتّى الشعرة الواحدة، وجميع بدنها عن غير محارمها، باستثناء الوجه بالمقدار الذي يجب غسله في الوضوء والكفّين فقط[2] ، هذا إذا لم تخف

(١) الأمثل ٦٧/١١.

(٢) وهناك من ذهب من الفقهاء إلى وجوب ستر المرأة لوجهها وكفيها، وممن ذهب إلى ذلك السيد الخوئي «قدّس سرّه» لكن وجوب ذلك مبني على الاحتياط الوجوبي لا الفتوى، فقال: (يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفين عن غير الزوج والمحارم، بل يجب عليها ستر الوجه والكفين عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذه، بل عن غير المحارم مطلقاً على الأحوط ...) «منهاج الصالحين ٢/ ٢٦٠».

المرأة من الوقوع في الحرام بسبب إبدائها لوجهها وكفيّها، ولم يكن الإبداء بداعي إيقاع الرّجل في النّظر المحرّم لها، وأما إذا كان كذلك[1] فيجب عليها ستر وجهها وكفيها.

وكذلك يجب عليها ستر الوجه والكفين إذا كانت عليها زينة لا يحل لها إظهارها أمام الرجل الأجنبي، فلو أنّها تزينت في وجهها بالمكياج ومساحيق التجميل وكفيها بوضع نقوش الحناء عليهما أو بأي زينة أخرى مما لا يجوز لها إظهارها أمام الرجل الأجنبي فيجب عليها والحال هذه أن تستر وجهها وكفيها.

وأيضاً لو كانت المرأة من الجمال بحيث أن أغلب من ينظر من الرجال إلى وجهها يفتتن بها، فمثل هذه المرأة يجب عليها أن تستر وجهها حتى وإن لم يكن مزيّناً، وكذلك الحكم بالنّسبة إلى الكفين إذا كان حالهما كحال كشف الوجه.

نعم جوّزوا للمرأة المسنّة التي لا ترجوا النكاح - إضافة إلى ما يجوز للمرأة غير المسنة إظهاره - أن تظهر شعرها وذراعيها، إلاّ أنّه لا يجوز لها التزيّن في الموضع الذي يجوز لها كشفه من بدنها بزينة يحرم على المرأة إظهارها وهي متزينة بها.

ويشترط في لباس المرأة وحجابها إضافة إلى كونه ساتراً

(١) أي إذا خافت من الوقوع في الحرام بسبب إظهارها لوجهها ولكفيها أو كان إظهارها لها بداعي إيقاع الرجل في النظر المحرم لها.

للبشرة أن لا يكون زينة في نفسه، وأن لا يظهر مفاتن جسد المرأة بحيث يكون مبرزاً ومجسماً لها.

وهناك تفاصيل أخرى تتعلّق بمسألة حجاب المرأة وسترها مذكورة في الرّسائل العملية وكتب الاستفتاءات للفقهاء على المكلّف أن يرجع إليها فيأخذ فتوى الفقيه الذي يرجع إليه فيها إذا كانت مورد ابتلائه.

٣- تحريم كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء:

وحرّمت الشريعة الإسلامية كل ما من شأنه أن يدعو إلى الفتنة والإغراء، فحرّمت الاختلاط بين الرجال والنساء إذا كان موجباً للوقوع في الحرام، بل مع الخوف من الوقوع في الحرام، كما حرّمت أيضاً خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مع عدم الأمن من الفساد، حتى وإن تيسر دخول الغير عليهما، نعم لا بأس به مع الأمن من الفساد تماماً.

وورد في بعض الرّوايات أنَّ الشيطان يستغل فرصة خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية فيبدأ بالوسوسة والتزيين لهما لإيقاعهما في المعصية، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال: (لا يخلونَّ رجل بامرأة، فما من رجل خلا بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما)[1].

(١) دعائم الإسلام ٢/٢١٤.

وعنه «صلى الله عليه وآله» أن إبليس قال لموسى «عليه السلام»: (لا تخل بامرأة لا تحل لك، فإنّه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي)[1].

ونهت عن خروج المرأة متعطرة إذا كان ذلك يوجب افتتان الرجال الأجانب ويسبب إثارة لهم، أو كان بداعي إيقاع الرجل في الحرام أو مع خوفها من الوقوع في الحرام فيما لو خرجت كذلك.

وفي الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (أيّما امرأة تتطيب ثم خرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها متى رجعت)[2].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: (أيّما امرأة استعطرت فمّرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية)[3].

ونهت أيضاً المرأة عن ترقيق صوتها وتحسينه، بكيفية مهيجة ومثيرة للرجال الأجانب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاتَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا**﴾[4].

(١) أمالي الشيخ المفيد صفحة ١٥٧

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، صفحة ٢٥٩.

(٣) صحيح ابن حبان ١٠/ ٢٧٠.

(٤) الأحزاب: ٣٢.

فالخطاب في هذه الآية وإن كان موجهاً إلى زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» إلاّ أنّ الحكم فيه عام لكل مسلمة، ففيه أمر لهن باجتناب اسماع أصواتهن المشتملة على ترقيق وتحسين وتهييج للرجال الأجانب حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض في من صدر منها الصوت بالارتباط المحرّم بها.

كما ويحرم أيضاً مصافحة المرأة الأجنبية لما في المصافحة من إثارة وتهيج قد تحصل لأحد الطرفين أو كلاهما، فعن النبي المصطفى «صلى الله عليه وآله» قال: (من صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به إلى النّار، ومن فاكه امرأة لا يملكها حبس بكل كلمة تكلمها في الدّنيا ألف عام، والمرأة إذا طاوعت الرجل فالتزمها حراماً أو قبلها أو باشرها حراماً أو فاكهها وأصاب منها فاحشة فعليها من الوزر ما على الرجل)[1][2].

وجوّز الفقهاء المصافحة بشرطين:

الأول: وجود حاجز بين الكفين.

الثاني: عدم الغمز أثناء المصافحة.

---

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، صفحة ٢٨٤.

(٢) هذه الرواية ناظرة إلى المصافحة المحرّمة التي لا يتوفر فيها الشرطان اللذان ذكرهما الفقهاء والروايات وهما عدم غمز الكفين ووجود حاجز بين الكفين، فهي مقيدة بالروايات التالية.

واستندوا في ذلك إلى روايات مأثورة عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» منها:

عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (... فأما المرأة التي يحل له أن يتزوّجها فلا يصافحها إلاّ من وراء الثوب ولا يغمز كفها)[1].

وعنه «عليه السلام» قال: (قلت له: هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات محرم؟ فقال: لا إلاّ من وراء الثوب)[2].

من الآثار الدنيوية والأخروية للزنا:

للزنا آثار سلبية كثيرة أشرنا إلى بعضها خلال هذا البحث، وهناك روايات عن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين من أهل بيته «عليهم السلام» تذكر جملة من الآثار الوضعية لفاحشة الزنا، والتي تلحق الزاني في هذه الحياة الدنيا، إضافة إلى الآثار في عالم البرزخ وعالم الآخرة، ومنها عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (يا علي في الزنا ست خصال، ثلاث منها في الدنيا، وثلاث منها في الآخرة، أما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء

(١) الكافي ٥/٥٢٦.

(٢) الكافي ٥/٥٢٦.

الحساب وسخط الرحمان والخلود في النّار)[1].

فهذه الرّواية تشير إلى بعض الآثار الوضعية للزنا فهو يذهب ببهاء الوجه، أي يوثر على نضارة الوجه ونورانيته، وذلك دليل على اتساخ النفس الإنسانية وتكدرها وعدم صفائها، بسبب ممارسة صاحبها لفاحشة الزنا، ويعجل الفناء، أي أنّه يؤدي إلى قصر العمر، فمن ينظر إلى الأمراض الفتاكة التي تنتقل عن طريق الزنا والتي لم يكتشف لها علاج، أو العلاج الذي اكتشف لها لا يؤدي إلى برئها وشفائها تماماً، بل تبقى حتى تقضي على الإنسان يظهر له هذا الأمر جليّاً.

ويقطع الرزق، فهو يؤدي بالزاني إلى الفقر والمسكنة، هذا في الدّنيا، وأمّا في الآخرة فيؤدي إلى سوء الحساب، فالزاني يناقش مناقشة عادلة وعلى كل صغيرة وكبيرة، ولا يتغاضى عن شيء مما فعله من الذنوب، كذلك يؤدي إلى سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه على الزاني فالزاني مغضوب عليه، ومن يغضب الله عليه فلا يمكن أن يفلح أبداً، ثم الدخول إلى النّار والبقاء فيها مدّة مديدة طويلة إن مات وهو لم يتب من هذا الجرم العظيم.

وفي رواية أخرى قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (إياكم والزنا فإن فيه عشر خصال، نقصان في العقل والدّين والرّزق

(١) الخصال، صفحة ٣٢١.

والعمر، وآفة الهجران، وغضب الرحمان، وهجوم النسيان، وبغض أهل الإيمان، وذهاب ماء الوجه، ورد الدعاء والعبادة)[1].

ومن الآثار الوضعية للزنا كثرة موت الفجأة حسب ما صرّحت به العديد من الرّوايات الشريفة، منها الرّواية المروية عن الإمام الباقر «عليه السلام» التي تصدرنا بها البحث، وكذلك قوله «عليه السلام»: (إذا فشت أربعة ظهرت أربعة؛ إذا فشى الزنا ظهرت الزلازل، وإذا مسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جارت الحكام في القضاء مسك القطر من السماء، وإذا حقرت الذّمة نصر المشركون على المسلمين، وحقر الذّمة نقض العهد)[2].

فإذا ظهر الزّنا وتفشى وانتشر كثر موت الفجأة، فتزداد في المجتمعات التي تكثر فيها هذه الفاحشة حالات السكتة القلبية أو الدماغية، فيترتب على ذلك أنّ هؤلاء المصابين بالسكتة يموتون فجأة، أو ازدياد حصول حالات الكوارث الطبيعية كالزلازل والصواعق والفيضانات والتي عادة ما تؤدي في أكثر حالاتها إلى موت أعداد من النّاس ليست بالقليلة وبشكل سريع وفجائي.

ومن آثار الزنا على الزاني في عالم البرزخ ما ورد في الرّواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (... ومن زنى بامرأة

(١) لئالئ الأخبار ٥/١٩٧.
(٢) لئالئ الأخبار ٥/١٩٧.

يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو أمة أو من كانت من النّاس فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النّار تخرج منها حيات وعقارب وشهب من نار، فهو يحرق إلى يوم القيامة حتى يؤمر به إلى النّار ...)[1].

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٢٨٢.

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

الخمر..حرمتها..آثارها

الخمر .. حرمتها .. آثارها

عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال:

(مدمن الخمر يلقى الله عزّ وجل كعابد وثن، ومن شرب منه شربة لم يقبل الله عزّ وجل صلاته أربعين يوماً)[1].

معنى الخمر لغة وشرعا:

الخمر في اللغة الغطاء، وكل ما يخفي شيئاً وراءه هو خمار، وفي المصطلح الشرعي هو كل مائع مسكر، سواء أخذ من العنب أو الزبيب أو التمر أو غيرها، وكل مشروب كحولي، واستعمال كلمة الخمر لكل مائع مسكر بسبب المقايسة بين المعنى اللغوي وهو الغطاء وما تؤدي إليه هذه المسكرات من تغطية على العقل وسلبه قدرة التمييز بين الحسن والقبيح.

شرب الخمر من الكبائر:

وشرب الخمر من الكبائر التي نهت عنها الشريعة الإسلامية كتاباً وسنةً، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ**

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، صفحة ٢٤٢ - ٢٤٣.

تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1].

وذكره الإمام الصادق «عليه السلام» في جملة الكبائر التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، فعن الإمام الجواد «عليه السلام» قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر «عليه السلام» يقول: (دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله «عليه السلام» فلما سلم وجلس تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾[2] ثم أمسك، فقال له أبو عبد الله «عليه السلام»: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل، فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[3]، وبعده الإياس من روح الله، لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]، ثم الأمن من مكر الله، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[5]، ومنها عقوق الوالدين لأنّ الله سبحانه جعل العاق جباراً شقياً، وقتل

(١) المائدة ٩٠ - ٩١.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) المائدة: ٧٢.

(٤) يوسف: ٨٧.

(٥) الأعراف: ٩٩.

النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ...﴾[1]، وقذف المحصنة، لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وأكل مال اليتيم، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[3]، والفرار من الزحف لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4]، وأكل الربا لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[5]، والسحر، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[6]، والزنا، لأنّ الله عزّ وجل يقول: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[7]، واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ

(١) النساء: ٩٣.
(٢) النور: ٢٣.
(٣) النساء: ١٠.
(٤) الأنفال: ١٦.
(٥) البقرة: ٢٧٥.
(٦) البقرة: ١٠٢.
(٧) الفرقان: ٦٨ - ٦٩.

لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[1]، والغلول لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2]، ومنع الزكاة المفروضة، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾[3]، وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[4]، وشرب الخمر لأنّ الله عزّ وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله، لأنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله، ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[5].

قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم)[6].

وكانت معاقرة الخمر في الجاهلية قبل مجيء الإسلام أمراً مألوفاً ومنشراً انشاراً واسعاً جداً أشبه ما يكون بالوباء العام، فجاء الإسلام وحرّمها متخذاً في تحريمها اسلوباً تدريجيّاً، فبدأ

(١) آل عمران: ٧٧.
(٢) آل عمران: ١٦١.
(٣) التوبة: ٣٥،
(٤) البقرة: ٢٨٣.
(٥) الرعد: ٢٥.
(٦) الكافي ٢/٢٦٨ .

بالتنفير منها وأنّها شراب غير طيب وذلك عندما جعلها في قبال الرّزق الطيّب الحسن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٧).

ونظراً لتأصل هذه العادة لم تكن لتجدي هذه الإشارات في الإقلاع عنها من قبل الكثيرين، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾(٨).

ففي هذه الآية الكريمة يبين سبحانه أنّ الأضرار الناتجة عن الخمر والميسر أكبر بكثير من المنافع الموجودة فيهما، ثم نزلت آية أخرى ينهاهم عزّ وجل فيها عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يدركوا ويعلموا ما يقولونه أمامه، فقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(٩)، إلى أنْ جاءت المرحلة الأخيرة من هذا التدرّج في التحريم بالتحريم الصريح للخمر، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ

(٧) النحل: ٦٧.

(٨) البقرة: ٢١٩.

(٩) النساء: ٤٣.

أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[1].

علّة تحريم الخمر:

وحرّمت الشريعة الإسلامية الخمر لما لها من أضرار وتأثير سلبي على الفرد والمجتمع، فهي مفتاح كل شر، تؤثر على عقل الإنسان فتسلبه إيّاه وعندها لا يرتدع عن فهل أيّ جريمة مهما كان عظمها ونوعها، كالقتل والزّنا حتى بالمحارم، والاعتداء على الآخرين بالضرب والسّب وغيره، وترك الفراءض وغيرها من الأضرار الكثيرة.

فعن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: لم حرّم الله الخمر؟ قال: (حرم الله الخمر لفعلها وفسادها، لأنّ مدمن الخمر تورثه الارتعاش، وتذهب بنوره، وتهدم مروته، وتحمله على أن يجترأ على ارتكاب المحارم وسفك الدماء وركوب الزنا، ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على حرمه ولا يعقل ذلك، ولا يزيد شاربها إلاّ كل شر)[2].

وروي أنّ زنديقاً قال للإمام الصادق «عليه السلام»: فلم حرّم الله الخمر ولا لذّة أفضل منها ؟ قال: (حرّمها لأنّها أم الخبائث

(١) المائدة: ٩٠ - ٩١.

(٢) علل الشرائع ٢/٤٧٦.

ورأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لبّه فلا يعرف ربّه ولا يترك معصية إلاّ ركبها ولا حرمة إلاّ انتهكها، ولا رحماً ماسة إلاّ قطعها، ولا فاحشة إلاّ أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان إنْ أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيثما قاده)[1].

فالآثار السلبيّة والأضرار الخطيرة للخمر أشهر من أن تحتاج إلى برهان ودليل، فهي واضحة للعيان، يقول صاحب كتاب «الخمر ومضارّها على الجسم والعقل»: (لا تسأل عن الأضرار التي يلحقها الخمر والإدمان بالشعوب التي يتفشّى فيها هذا الدّاء، وخذ مثالاً على تلك الدول المتحضّرة فرنسا، والتي تراقب جماعة الخمور، وانتاجها الأوّل حيث تنتج ٣٠٪ من الإنتاج العالمي، ولكنّها تدفع ذلك غالباً من أمّتها وصحة وسلامة أبنائها، فأغلب الجرائم وأكثرها وحشيّة بسبب السكر، و٣٠٪ من الأسرّة في المستشفيات الفرنسيّة يشغلها المدمنون على الشراب، وفي جرائم الاغتصاب يشكل نسبة المخمورين المقدمين على ذلك ٥٠٪، وفي حوادث القتل يشكل السّكارى حوالي ٢٤٪ إلى ٧٢٪)[2].

ويقول عزّة الحسنين في كتابه «الخمر والمخدّرات بين الشريعة والقانون»: (إنّ الإدمان على الكحول يساعد على كثرة الحوادث،

(١) وسائل الشيعة ١٧/٢٨٢.

(٢) الخمر ومضارّها على الجسم والعقل، صفحة ٢٨٢.

وقد صدرت تقارير عدّة دول تشير إلى أنّ نصف الجرائم عندها مسببة بطريقة أو بأخرى بتعاطي الكحول، وعلاقة الكحول بالعنف والجرائم حسب الإحصائيات الموجودة حتى الآن يتراوح بين ١٣٪ إلى ٧٢٪ ...

وفي بولندا أدلت الدراسات إلى أنّ ٣٧٪ من الجرائم عام ١٩٦٦م كانت بسبب تأثير الكحول، وفي استراليا كان ٥٠٪ من حوادث القتل والاغتصاب بسبب الكحول)[١].

وجاء في إحصائية وضعها عالم يدعى «هوكر» نشرتها مجلّة العلوم أنّ ٦٠٪ من القتل المتعمّد و ٧٥٪ من الضرب والجرح و ٣٠٪ من الجرائم الأخلاقية - بما فيها الزنا بالمحارم - و ٢٠٪ من جرائم السرقة سببها المشروبات الكحولية .

وورد في مجلة العلوم الجنائية صفحة ٨٣٧ : أنّ ٦٠٪ من الأطفال والشباب الذين تقل أعمارهم عن ١٨ عاماً الذين أرسلوا إلى محكمة مدينة نانت «الفرنسية» عام ١٩٤٠م أنّهم شربوا شيئاً من الخمرة قبل ارتكاب الجريمة.

وحسب الإحصائيات التي نشرها معهد الطب القانونية في مدينة نيون (السويسرية) عام ١٩٦١م كانت الجرائم الإجتماعية

(١) الخمر والمخدّرات بين الشريعة والقانون، صفحة ١٧٩.

للمدمنين على النحو التالي : القتلة : ٥٠٪ .

المعتدون بالضرب والجرح : ٨, ٧٧٪.

السرقات: ٥, ٨٨٪.

الجرائم الجنسية المرتبطة بالمدمنين: ٨, ٨٨٪.

فهذه الإحصائيات تشير إلى أنّ الأكثرية الساحقة من الجرائم ترتكب في حالة السكر.

الأضرار الصحية للخمر:

ولتعاطي المشروبات الكحولية أضرار خطيرة جداً على صحّة الإنسان، فهي تؤثر على جميع أجهزة الجسم وأعضائه وتصيبها بأمراض مختلفة .

أثر الكحول على القوّة العاقلة:

إنّ مشروبات الكحول هي أول عامل من عوامل الجنون، وإنّ الإحصائيات الدقيقة لمستشفيات المجانين في الدول المنتشر فيها تعاطي الكحول بشكل واسع وكبير تشير إلى أنّ أغلب المجانين هم ممن قضوا عمراً طويلاً في الشراب .

يقول الدكتور «بلوزل» : (الإدمان يجر إلى الجنون ويمكن القول أنّ الكحول عامل مباشر في جنون البالغين بنسبة تتراوح عند الـ ١٧٪)

(وتقول إحصائية سويسرية أنّ ١٢,٥٪ من الرّجال الرّاقدين في مستشفى المجانين خلال خمسة أعوام بين ١٩٢٦- ١٩٣٠ كانوا يعانون من أمراض نفسيّة ناجمة عن الكحول، و ٧,٦٪ أمراض نفسيّة أخرى بضمنها الكحول، أي أنّ ٢٠,١٪ من مجموع المرضى النفسيين قد دخلوا مستشفى المجانين بسبب المشروبات الكحوليّة)[١].

وإنّ تأثير الكحول السيء على العقل والجسم وما يلحقه به من أضرار لا يحصل فقط بالإفراط في تناولها كما يتصوّر البعض، بل إنّ تناول القليل منها له تأثير سيء أيضاً وبالخصوص على خلايا المخ.

قال الدكتور «كنزلي» في أحد المؤتمرات الخاصة بمكافحة الكحول والإدمان: (إنّ استخدام الكحول ولو بمقدار قليل يسبب تلفات مخيّة كثيرة، فحينما يشعر الإنسان باللذّة والسرور من تناول كميّة قليلة من الكحول لا يعلم أنّه ساعد على إفناء خلايا مخّه.

يتصوّر الناس أنّ تناول كميّة قليلة من الكحول لا يشكّل خطراً بل إنّه ضروري أيضاً، فالبعض يعتقد أنّ ارتشاف شيء منه في المجلس لا يؤدي إلى الإدمان أو أنّ الكحول لا يسبب لهم تلفات

(١) الشباب بين العقل والعاطفة ٢/٤٤٠.

مخيّة، بينما تدل البحوث الواسعة التي أجريت في هذا المجال أنّ المشروبات الكحوليّة تسبب اختلالاً في وظيفة الخلايا المخيّة حتى وإن كانت بمعدّل قليل جداً)[1].

وقال الدكتور «بنينغتون» الذي قدّم تقريراً في نفس المؤتمر:

(لا ريب أنّ الكحول من أخطر أعداء الإنسان ويتعرّض لخطر هذا العدو أيضاً أولئك الذين يشربون قليلاً من الخمر بين الفينة والأخرى)[2].

وورد في كتاب «**Alcoholsm**»: (إنّ التخريب الحاصل في أنسجة الجسم نتيجة شرب الخمر مرّة واحدة يمكن أن يكون تخريباً دائماً غير قابل للتراجع)[3].

إذاً فلا غرابة حينئذٍ أن نجد الإسلام قد حرّم تناول المسكر مهما كان قليلاً، فعن كليب الأسدي قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن النبيذ فقال: (إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب الناس فقال: أيّها الناس ألا إنّ كل مسكر حرام، ما أسكر كثيره فقليله حرام)[4].

---

(١) الشباب بين العقل والعاطفة ٤٤٢/٢.

(٢) الشباب بين العقل والعاطفة ٤٤٢/٢.

(٣) أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر، صفحة ٢٩.

(٤) وسائل الشيعة ٢٦٨/١٧.

وعن عائشة قالت : قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام)[1].

أثر الكحول على الجهاز الهضمي:

يبدأ الجهاز الهضمي بالفم والبلعوم والمريء والمعدة فالإثني عشر فالأمعاء الدقيقة فالغليظة ثمّ المستقيم فالشرج، ويلحق بهذا الجهاز مجموعة من الغدد اللّعابيّة الموجودة تحت الفك العلوي والسفلي وتحت اللسان، كما يلحق به كل من غدتي البنكرياس والكبد.

وتتعرّض أكثر أجزاء هذا الجهاز إن لم نقل كلّها لتأثير الخمر السيء فتصاب بالكثير من الأمراض والعلل والآفات.

فالفم يصاب بالتهابات عديدة ومتكررة، ويكون فم مدمن الخمر مبخراً ونفسه كريهاً وذلك ناتج عن روائح الخمر والتبغ من جهة والالتهابات المتكررة في الفم والإلتهابات الرئوية التي عادة ما يصاب بها المدمنون من جهة أخرى.

(كما يصاب بعض المدمنين ببقع بيضاء في ألسنتهم... وهذه تكون عادة مقدّمة لسرطان اللسان)[2].

---

(١) وسائل الشيعة ١٧/٢٧١.

(٢) الخمر بين الطب والفقه، صفحة ١٨٦.

ويصاب بلعوم مدمن الخمر بالتهاب حاد منتن تسببه ميكروبات تكون موجودة بالفم، وهي لا تسبب أيّ مرض لدى الإنسان العادي، ولكنّها عند مدمن الخمر تستغل ضعف مقاومته للأوبئة والميكروبات، فتهجم عليه وتؤدي به إلى هذا الإلتهاب الخطير.

ويقول أهم مرجع طبي بريطاني «مرجع برايس الطبي» طبعة ١٩٦٨م: (إنّ الميكروبات تستغل فرصة نقص المقاومة لدى مدمن الكحول فتهاجمه هجوماً عنيفاً يؤدي إلى هذا الإلتهاب الخطير، وترتفع درجة حرارة المريض إلى أربعين سنتيجراد، كما يجد المريض صعوبة في البلع والتنفس، حتى ليشعر بالاختناق، وتكثر الالتهابات الرئوية، كما يصاب القلب فجأة بالهبوط نتيجة تسمم عضلة القلب، وكثيراً ما تكون الوفاة خلال أربع وعشرين ساعة منذ بدء الأعراض)[١].

ويتعرّض المريء لإلتهابات مزمنة، نتيجة لتعاطي الخمور والأنبذة القويّة، ويكون هذا الإلتهاب سبب رئيسي إلى الإصابة بسرطان المريء، كما يصاب بنزف ناتج عن تمزّقات طويلة بجدار المريء، وسببها القيء العنيف المتكرر الذي يصاب به عادة مدمنوا الخمور، ويؤدي تعاطي الكحول المستمر أيضاً إلى إصابة المريء بقرحة مزمنة عادة ما تشفى بسرعة بمجرّد ترك الكحول، كما

(١) الخمر بين الطب والفقه، صفحة ١٨٨.

تصاب المعدة بالتهابات حادة مزمنة أيضاً نتيجة تعاطي الخمور، ويعتبر الكحول أحد أسباب الإصابة بقرحة المعدة والإثني عشر، وقد تؤدي هذه الالتهابات المزمنة والقرحة المزمنة إلى إصابة الإنسان بسرطان المعدة.

يقول صاحب كتاب «الخمر بين الطب والفقه» عن سرطان المعدة: (إنّ هذا الالتهاب الخبيث هو أكثر انتشاراً في اليابان وأوربا، وقد وجد أنّ قرحة المعدة المزمنة تؤدي في إزمانها في بعض الحالات إلى التّحوّل السرطاني، كما أنّ التهاب المعدة الضموري المزمن قد يؤدي كذلك إلى ظهور هذا المرض الخبيث، وقد رأينا أنّ أهم أسباب التهاب المعدة الضموري هو تناول الكحول بصورة مزمنة)[1].

وكذلك الأمعاء الدقيقة والغليظة فهي تصاب بالالتهابات لأن الخمر تسبب تهيجاً في الأغشية المخاطيّة للجهاز الهضمي ابتداءً من الفم وانتهاءً بالأمعاء الدقيقة والغليظة، ويؤدي ذلك إلى احتقان الأمعاء وتقرّحها.

وأمّا عن تأثير الخمر على غدّتي البنكرياس والكبد، فله تأثير كبير جداً فهو يصيب البنكرياس بالتهابات عديدة مزمنة والتهاب حاد آخر دموي، وهذا المرض خطير جداً يؤدي إلى نخر وموت

(١) الخمر بين الطب والفقه، صفحة ٢٠٠.

خلايا البنكرياس مع نزف دموي شديد فيه.

وحول تأثير الخمر على الكبد لنقرأ ما تقوله الدكتورة «شرلوك» أشهر أخصائية في أمراض الكبد في العالم في كتابها «أمراض الكبد»: (لا يوجد أيُّ شك في أنّ تليّف الكبد يصيب مدمني الخمور أكثر من غيرهم، ففي مقابل كل شخص يصاب بتليّف الكبد من غير المدمنين نجد ٨ أو ٦ أشخاص من المدمنين مصابين بالتليّف الكبدي)[١].

ويقول الدكتور «برانت» من جامعة «كامبردج» في مقال نشر في مجلة «**Medicine**»: (لقد دلّت الدّراسات التي أجريت على طلاب كلّية الطب أنّ تناول ١٨٠ غرام من الكحول يوميّاً كاف لكي يسبب تشحّم الكبد عند معظم هؤلاء الطلاب)[٢].

وإذا ما استمر شارب الخمر في تعاطيه للمشروبات الكحوليّة ولم يرتدع عن ذلك، فغالباً ما ينتهي الأمر بتشمّع الكبد وهو مرض لا شفاء منه، وكثيراً ما يؤدي إلى الوفاة .

(ويقدر الباحثون أنّ ٢٠٪ من المفرطين في شرب المسكرات يصابون بتشمّع الكبد)[٣].

(١) الخمر بين الطب والفقه، صفحة ٤١٢.

(٢) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٤٠.

(٣) أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر، صفحة ٤٠.

تأثير الخمر على جهاز الدّورة الدّموية:

ويكون تأثير الخمر على جهاز الدورة الدموية كبيراً، فهو يؤدي إلى اعتلال عضلة القلب واضطراب دقّاته وإلى ارتفاع ضغط الدم، وهو - أي ارتفاع ضغط الدم - السبب الرئيسي من أسباب السكتة الدماغية، وكذلك سبب من أسباب جلطة القلب.

يقول في كتاب «**Alcoholsm**»: (إنّ أشهر تأثيرات الخمر على القلب هو اعتلال العضلة القلبيّة الكحولي، وارتفاع ضغط الدم وزيادة حدوث الخفقان.

وفيه تتوسع حجرات القلب وتترهل عضلته، ويحدث فشل «قصور» القلب، ويشكو المريض من ضيق في التنفس لدى قيامه بأقل مجهود، وقد لا يستطيع القيام حتى بخدمة نفسه في البيت.

وإذا استمر المريض في شربه للمسكرات فإنّ هذا المرض سوف يؤدي بلا شك إلى الموت المبكر)[1].

(إنّ سهرة يفرط فيها شارب الخمر في تناوله للمسكرات قد تؤدي إلى حدوث اضطراب في نظم القلب، كما يمكن أن تسبب الموت المفاجىء)[2].

(١) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٣١.

(٢) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٣٣.

(قد يحدث إضطراب شديد في ضربات القلب عقب شرب الخمرة مرة واحدة فقط)[1].

كما يؤثر الكحول على شرايين القلب التاجيّة فيؤدي إلى ضيقها وعندها يشكو المريض من ألم في منتصف الصدر لدى قيامه بأبسط جهد، وهذا ما يسمّى بالذبحة الصدرية .

(وقد أثبتت الدراسات العلميّة أنّ شرب الخمر يحرّض حدوث نوبة من نوبات الذبحة الصدرية المختلفة، حيث يؤدي شرب الخمر إلى تشنّج في الشرايين التاجيّة).

(كما أنّ دراسة أكثر من ألف شخص ثبت أنّ نصف حالات الموت المفاجئ حدثت عند شاربي الخمور)[2].

أثر الخمر على جهاز التنفس:

ومن أهم أضرار الخمر على الجهاز التنفسي، أنّها تؤدي إلى الإصابة بمرض السل، فالكحول يدخل إلى الرئة مع الدّم ويحرّك المواد المخاطية فيها، فيسبب تورّمها كما يسبب أيضاً إزالة الكالسيوم من البدن واخلال عمل الرئة مما يؤدي إلى الإصابة بمرض السل.

(١) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٣٣، عن كتاب هارسيون الطبي.
(٢) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٣٤.

أثر الكحول على الأعضاء التناسليّة:

يحدث الكحول أضراراً على أعضاء الإنسان التناسليّة، فقد أثبتت التجارب أنّه يؤدي إلى ضمور في الخصية، ونقصان حجمها واسترخاء في عضلات كيس الصّفن وعضو التناسل، وأنّ الإدمان عليها يجعل الحيوانات المنوية نادرة جداً.

قال البروسوفور «شوكت» وهو من كبار الباحثين في العالم في شؤون الخمر: (قد يلاحظ بعض شاربي الخمور ازدياد في الشعور الجنسي لدى تناول كأس أو كأسين من المسكرات، ولكن ينسى هؤلاء أنّ ذلك يسبب العنانة عند الرجال «ضعف القدرة على الانتصاب»).

وقال أيضاً: (وينسى هؤلاء أيضاً أنّ شرب المسكرات قد يؤدي إلى ضمور الخصيتين وفقدان النّطاف)[1].

وأوضح العالم «فوربيل» في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهاي عام ١٩٦١: (إنّ بعض حيوانات التجارب التي حقنت بمواد كحوليّة في الوريد أو تحت الجلد أصيبت بضمور في خصيتها، كما أنّ هناك عشرة من الثلاثين حيواناً التي أجريت عليها التجارب فقدت الخصى فيها كل حيواناتها المنويّة)[2].

(١) أطباء الغرب يحذّرون من شرب الخمر، صفحة ٣٥.

(٢) لماذا حرّم الله هذه الأشياء، صفحة ٤٦.

أثر الكحول على النّسل:

ولا ينحصر ضرر الخمر الصحي على صحة شاربها بل يتعداه إلى نسله، فإنّ أطفال مدمني الخمور عادة ما يولدون وهم مصابون بتشوّهات خلقيّة في بعض أعضائهم، وإذا ما ولدوا سالمين فإنّ صحتهم تكون عرضة للإصابة بأمراض مختلفة، كالنزلات المعويّة والالتهابات الرئويّة والتشنجات العصبيّة، التي غالباً ما تؤدي إلى موت هؤلاء الأطفال وهم في سن الرضاعة، وإذا ما بقوا وأطال الله في أعمارهم، فإنّه من النادر جداً أن لا يتعرّضوا لفتك الأمراض المختلفة، وخصوصاً الأمراض العصبيّة، كالصرع، والهستيريا، والجنون.

(حيث تقول الإحصائيات حسب تحقيقات الأطباء، يوجد في فرنسا مائتا ألف طفل مجنون بسبب المشروبات الكحوليّة، وأنّ ٨٠٪ من المجانين و ٤٠٪ من مرضى المعاشرة هم ضحيّة استعمال الكحول، وفي بريطانيا ٩٠٪ تقريباً من الأطفال المجانين بسبب المواد الكحوليّة التي خالطت نطف الآباء)[1].

(من الثابت علميّاً أن شرب الخمور أثناء الحمل يؤدي إلى مرض يسمّى «تنادر الجنين الكحولي».

ويصاب الجنين في هذا المرض بآفات خلقيّة في القلب

(١) الخمر حرمتها وتأثيرها على الإنسان، صفحة ٨٢.

وتشوّهات في الوجه، واضطراباً في المفاصل وتخلّفاً عقليّاً شديداً.

ولا تعرف كميّة المسكرات ولا الوقت الذي تكون فيه الحامل عرضة لإصابة جنينها بهذا المرض)[1].

وقال الدكتور الأمريكي «نالين»: (يمكن أن يتولد من الرجل السالم أحد عشر طفلاً في حين لا يتولد من المعتاد على الكحول واحد من ثلاثة أطفال سالمين، وحتى الأطفال هم أيضاً في معرض الأمراض المختلفة من قبيل السكتة، الصرع، العصبيّة، الجنون، عدم رشد قواهم العقليّة، ونقص في الدم وغيرها)[2].

وقال الدكتور «الكسيس كاريل»: (إنّ سكر الزّوج والزّوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعتبر جريمة عظيمة، لأنّ الأطفال الذين ينشئون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبيّة ونفسيّة غير قابلة للعلاج)[3].

ونظراً لهذه الأضرار الخطيرة التي تخلّفها الخمر والمسكرات على النسل، فإنّ الشريعة الإسلامية أعطت توجيهاتها لأولياء الأمور بعدم تزويج بناتهم من شاربي الخمر، وذلك حفاظاً على

(١) أطباء الغرب يحذّرون من شر الخمر، صفحة ١٩.

(٢) الذنوب الكبيرة ١/٢٣٨.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية ١/٧٨.

النسل من هذه الأضرار، حيث أنّه لا يمكن لمثل هذا النسل المصاب بأمراض مختلفة أو الذي هو في معرض الإصابة بها أن يثمر إيجابيّاً في الحياة، ولا يمكن لدولة أو أمّة الاعتماد عليه في شؤونها المختلفة بل هو كلٌّ وعالةٌ عليها.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (شارب الخمر لا يزوّج إذا خطب)[1].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من شرب الخمر بعدما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزّوج إذا خطب)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (شار بالخمر لا يعاد إذا مرض، ولا يشهد له جنازة، ولا تزكّوه إذا شهد، ولا تزوّجوه إذا خطب، ولا تأتمنوه على أمانة)[3].

وقال الإمام الصادق «عليه السلام»: (من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها)[4].

(وبديهي أن يعتبر إنجاب أطفال مختلين بدنيّاً وعصبيّاً وروحيّاً قطعاً لرحم المرأة التي بإمكانها أن تنجب أولاداً سالمين

(١) الكافي ٥/٣٥٢.
(٢) الكافي ٥/٣٥٢.
(٣) وسائل الشيعة ١٧/٢٤٨.
(٤) الكافي ٥/٣٥١.

من غيره)[1].

أثر المسكرات على الأسرة:

إنّ من أهم أسباب انهيار الأسرة وتفككها وعدم استمرار العقلة الزوجيّة بين الرجل والمرأة هو تعوّد رب الأسرة على شربه للمسكر، لأنّه من غير الممكن لأمرأة أن تعيش مع رجل سكير، لا يهتم بشؤونها وشؤون أبنائها، غير ملتزم بما عليه من حقوق وواجبات تجاههم، هذا فضلاً عن ما قد يصدر منه من اعتداء -كما يحصل عادة- عليها وعلى أولادها بالضرب والشتم، الأمر الذي يجعل هذه المرأة ترفع أمرها إلى الحاكم الشرعي مطالبة بالطلاق والانفصال عن هذا الزوج الّذي حوّل حياتها وحياة أبنائها إلى شقاء وجحيم لا يطاق.

كذلك لا يمكن للأبناء أن يتربوا تربية صحيحة في ظلِّ أبٍ غير مراع للآداب الإسلامية، والأعراف الإجتماعية، منحلاً من جميع القيم والمثل والأخلاقيات الحسنة، فهو من جهة لا يقوم بواجب التربية ومن جهة أخرى هو قدوة سيئة لهم، وإذا ما فقد الأبناء التربية والقدوة الصالحة في حياتهم فمما لا شك فيه أن الإنحراف سيكون نصيبهم، والواقع شاهد على ذلك، إذ عادة ما يكون أبناء شاربي الخمور مثل آبائهم منحرفين غير مستقيمين،

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ١/٧٧.

لديهم نزعة إجرامية، ونزوعاً إلى الذنب والمعصية.

والأمر أدهى وأمر إذا كانت الزوجة هي المدمنة على شرب المسكر، إذ الداعي إلى انهيار الأسرة وتفككها يكون أكبر، فعادة ما تتهم المرأة السكيرة بالخيانة والزنا.

يقول الدكتور «فرانل س كايربو»: (إنّ الإدمان على تناول المسكر مما يوجب انهيار الأسرة، فالمرأة السكيرة كثيراً ما تتهم بالزنا وكذلك الرجل)[1].

وفي كتاب «الخمر وحرمتها وتأثيرها على الإنسان»: (ولذا نلاحظ أنّ الكحول تؤثر بشكل مباشر على الأسرة أيضاً، فلقد بيّنت دراسات نفسيّة أجريت على أسر المدمنين أشارت إلى أنّ معظم هذه الأسر تعيش حالات مضطربة نتيجة تعاطي الآباء والأمّهات للخمور، بل ساعدت في تفكيك النظام الأسري عبر الطلاق والهجر والوفاة أحياناً، ولقد تبيّن في دراسات أخرى أنّ ٩٧٪ من الشباب المدمن ينتمي إلى أسر مضطربة وتتعاطى الإدمان على الكحول)[2].

الآثار الأخروية لشرب الخمر:

وللخمر في عالم ما بعد الدنيا أضرار كثيرة وخطيرة، أدع هنا

(١) الأسرة في الإسلام، صفحة ١٢٠.

(٢) الخمر وحرمتها وتأثيرها على الإنسان، صفحة ٩٠.

روايات أهل البيت «عليهم السلام» تتحدث عن بعض هذه الآثار:

فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إنّ أهل الري في الدنيا من المسكرات يموتون عطاشاً ويحشرون عطاشاً، ويدخلون النار عطاشاً)[1].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (يجيء مدمن الخمر يوم القيامة مزرقّة عيناه، مسودّاً وجهه، مائلاً شفتيه، يسيل لعابه، مشدودة ناصيته إلى إبهام قدميه، خارجة يده من صلبه، فيفزع منه أهل الجمع إذا رأوه مقبلاً للحساب)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من شرب الخمر في الدّنيا سقاه الله من سم الأفاعي ومن سم العقارب شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تفسخ لحمه وجلده كالجيفة، يتأذى به أهل الجمع حتى يؤمر به إلى النار، وشاربها وعاصرها ومعتصرها في النّار، وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إليه وآكل ثمنها سواء في عارها وإثمها، ألا ومن سقاها يهوديّاً أو نصرانيّاً أو صابيّاً أو من كان من النّاس فعليه كوزر من شربها، ألا ومن باعها أو اشتراها لغيره لم يقبل الله تعالى منه صلاةً ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً حتى يتوب منها، وإن مات قبل أن

(١) الكافي ٤/٤١٢.

(٢) ثواب الأعمال وعقابها، صفحة ٩٣٥.

يتوب كان حقّاً على الله تعالى أن يسقيه بكل جرعة شراب منها في الدنيا شربة من صديد جهنم، ألا وإنّ الله حرّم الخمر بعينها والمسكر من كلّ شراب، ألا وكلّ مسكر حرام)[1].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (والذي بعثني بالحق أن شارب الخمر يموت عطشان، وهو في القبر عطشان، ويبعث يوم القيامة وهو عطشان، وينادي واعطشاه ألف سنة، فيؤتى بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فينضج وجهه ويتناثر أسنانه وعيناه في ذلك الإناء، فليس له بد من أن يشرب فيصهر ما في بطنه)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (من شرب مسكراً كان حقّاً على الله عزّ وجل أن يسقيه من طينة خبال، قلت: وما طينة خبال؟ فقال: صديد فروج البغايا)[3].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته ولا يرد عليّ الحوض لا والله، لا ينال شفاعتي من شرب المسكر ولا يرد عليّ الحوض لا والله)[4].

وعن أبي الحسن «عليه السلام» قال: (إنّه لما احتضر أبي «عليه السلام» قال لي: يا بني إنّه لا ينال شفاعتنا من استخف

(١) ميزان الحكمة ٩/١٦٤، برقم: ٢٠٧٨٤.
(٢) ثواب الأعمال وعقابها، صفحة ٥٤٠.
(٣) الكافي ٤/٤١١.
(٤) الكافي ٤/٤١٢.

بالصلاة، ولا يرد علينا الحوض من أدمن هذه الأشربة، فقلت: يا أبه وأي الأشربة؟ فقال: كل مسكر)[1].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (مدمن الخمر يلقى الله عزّ وجل كعابد وثن)[2].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر، ولا عاق والديه ولا منان)[3].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (شارب الخمر يعذّبه الله بستين وثلاثمائة نوع من العذاب)[4].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (أقسم ربّي جلّ جلاله فقال: لا يشرب عبدٌ لي خمراً في الدنيا إلاّ سقيته يوم القيامة مثل ما شرب منها من الحميم، معذباً بعد أو مغفوراً له)[5].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (والذي بعثني بالحق من كان في قلبه آية من القرآن ثم صبّ عليه الخمر يأتي كل حرف يوم القيامة فيخاصمه بين يدي الله عزّ وجل، ومن كان له القرآن خصماً كان الله له خصماً، ومن كان الله له خصماً كان هو في

(١) الكافي ٤/٤١٤.
(٢) الكافي ٤/٤١٦.
(٣) ثواب الأعمال وعقابها، صفحة ٦١٥.
(٤) الحكم الزّاهرة، صفحة ٣٠٠.
(٥) ثواب الأعمال وعقابها، صفحة ٥٤٠.

النار)[1].

وعن أنس بن مالك قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (إنّ في جهنم لوادياً يستغيث منه أهل النّار كلّ يوم سبعين مرة، وفي ذلك الوادي بيت من نار، وفي ذلك البيت جب من نار، وفي ذلك الجب تابوت من نار، وفي ذلك التابوت حيّة لها ألف رأس وفي كل رأس ألف فم، وفي كل فم عشرة آلاف ناب وكل ناب ألف ذراع.

قال أنس: قلت يا رسول الله، لمن يكون هذا العذاب؟ قال: لشارب الخمر من حملة القرآن)[2].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (من مات سكراناً عاين ملك الموت سكراناً، ودخل القبر سكراناً، ويوقف بين يدي الله سكراناً، فيقول الله عزّ وجل له: مالك؟ فيقول: أنا سكران، فيقول الله: بهذا أمرتك؟ اذهبوا به إلى سكران، فيذهب به إلى جبل في وسط جهنم فيه عين تجري مِدّة ودماً لا يكون طعامه وشرابه إلاّ منه)[3].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (العبد إذا شرب شربة من الخمر ابتلاه الله بخمسة أشياء:

(١) جامع الأخبار، صفحة ٤٢٢.
(٢) جامع الأخبار، صفحة ٤٢٢.
(٣) جامع الأخبار، صفحة ٤٢٤.

الأول: قسا قلبه.

والثاني: تبرأ منه جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجميع الملائكة.

والثالث: تبرأ منه جميع الأنبياء والأئمة.

والرابع: تبرأ منه الجبار جلّ جلاله.

والخامس: قوله عزّ وجل: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾)[1].

من هو مدمن الخمر؟

والمدمن في نظر الرّوايات هو ذلك الشخص الذي متى ما توفر له المسكر شربه، فهو هنا أشمل وأعم من التعريف الطبي له.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (مدمن الخمر يلقى الله عزّ وجل حين يلقاه كعابد وثن، فقال حجر بن عدي: يا أمير المؤمنين ما المدمن؟ قال: الذي إذا وجدها شربها)[2].

كل مسكر خمر:

ومهما اختلفت أسماء الخمر وتعددت أنواعها فهي حرام، وكل ما فعل فعلها فهو حرام أيضاً لا يجوز تناوله، فعن الإمام الكاظم

(١) جامع الأخبار، صفحة ٤٢٥.

(٢) ميزان الحكمة ٣/١٦٣.

«عليه السلام» قال: (إنّ الله عزّ وجل لم يحرّم الخمر لاسمها ولكن حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال في خطبته: (كل مسكر حرام)[2].

وعن الفضيل بن يسار قال: (ابتدأني أبو عبد الله «عليه السلام» يوماً من غير أن أسأله فقال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كل مسكر حرام، قال: قلت: أصلحك الله كلّه حرام؟ فقال: نعم الجرعة منه حرام)[3].

الملعونون في الخمر:

وعن أبي جعفر «عليه السلام» قال: (لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخمر عشرة؛ غارسها وحارسها وعاصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها)[4].

يحرم الجلوس على مائدة يشرب عليها خمر:

ومن الأحكام الفقهيّة الخاصة بمسألة شرب الخمر أنّه يحرم

(١) ميزان الحكمة ٣/١٦٦.
(٢) الكافي ٦/٤٢٠.
(٣) الكافي ٦/٤٢١.
(٤) الحكم الزاهرة، صفحة ٢٩٩.

الجلوس وتناول الطعام على مائدة يشرب عليها الآخرون خمراً، وإنّ امتنع الشخص نفسه عن تناولها، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (ملعون ملعون من جلس طائعاً على مائدة يشرب عليها الخمر)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (من كان يؤمن بالله واليوم فلا يأكل على مائدة يشرب عليها الخمر)[2].

(١) ميزان الحكمة ٣/١٦٢.

(٢) الحكم الزّاهرة، صفحة ٣٠١.

المذموم من حب الدّنيا

من هدي الإسلام
بحوث ومقالات

المذموم من حب الدنيا

عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال:

(حبُّ الدّنيا رأسُ كلِّ خطيئة)[1] .

ورد الذّم للدّنيا في العديد من النّصوص الشريفة، والمذموم في الدّنيا هو التعلّق بها لأجل ذاتها، وجعل الإنسان منها هدفاً له بمغرياتها ورغباتها وشهواتها، مما يؤدّي إلى الابتعاد عن طريق الله القويم وصراطه المستقيم، فحبُّ الدنيا الذي يستعبد الإنسان فيجعله يتّبع هواه في شهواته ورغباته، من طعام، وجنس، ومال، وغيرها، بحيث أنّه إذا حاز على الكثير من هذه الدّنيا وتعلّق قلبه بها، نسي الموت والتّوبة قبل الموت، فطال أمله، ونسي آخرته، وهذا هو ما تخوّفه النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» على أمّته، فقال: (ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فيصد عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة)[2].

إنّ البعض عندما يتذكّر الموت أو يسمع به ينزعج ويخاف منه،

(١) الخصال، صفحة ٢٥.

(٢) الكافي ٨/٥٨.

ويكره الموت ولا يحبّه، وهذا له أسبابه، فهناك من يكره الموت ويخاف منه بسبب ما اقترفه من ذنوب، وارتكبه من مخالفات شرعيّة، فهو لا يخاف من الموت لخصوصه، وإنّما يخاف مما بعد الموت، يخاف من العذاب المترتب على مخالفاته الشرعيّة، فهو قد سوّد صحيفة أعماله بالذّنوب من الفواحش والمنكرات وترك الواجبات وممارسة المنهيّات، وهو يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى سيعاقبه على ذلك، فهو يخاف وينزعج من الموت لأنّه يوصله إلى نتائج أعماله، بخلاف المؤمن الذي لم يسّود صحيفته بالذّنوب، وإن كان قد فعل شيئاً منها فإنّه يسارع إلى التوبة من ذلك ويسأل الله العفو والصفح والمغفرة، فإن مثل هذا العبد لا يخاف من الموت، بل يكون الموت عنده أحلى وألذ من الشهد، لعلمه أنّه وبمجرّد أن يموت سيلاقي نتائج أعماله الصالحة، فهذا الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» عندما ضربه ابن ملجم على رأسه الشريف في محراب مسجد الكوفة، قال: (فزت وربِّ الكعبة)[1].

وكان «عليه السلام» يقول: (والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، ومن الرجل بأخيه وعمه)[2].

والبعض إنّما ينزعج من الموت، ويتألم عند سماعه، وتنتابه غصة من ذكره، بسبب تعلّقه بالدّنيا، فهو على علاقة وثيقة وقويّة

(١) بحار الأنوار ٢/٤١.

(٢) بحار الأنوار ٢٣٤/٢٨.

بشهوات الدّنيا وملذّاتها، من مال، وجاه، ومنصب، وولد، وزوجة، وغيرها، فلا يتفاعل مع الموت لأنّه لا يريد أن يفارق ما تعلّق به من هذه الأمور، لا يريد أن يفارق الملذّات والشهوات الدنيوية، لا يريد أن يفارق المال والمنصب والجاه والزوجة والأولاد ...

يروى أنّ رجلاً قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: (مالي لا أحب الموت؟ فقال له: ألك مال؟ قال: نعم، قال: فقدمته؟ قال: لا، قال: فمن ثم لا تحب الموت)[1].

فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» سبب عدم حبِّ هذا الرجل للموت هو علاقته بماله، وعدم رغبته بمفارقته.

وقال رجل للإمام الحسن «عليه السلام»: ما بالنا نكره الموت ولا نحبّه؟ فأجابه الإمام: (لأنّكم أخربتم آخرتكم، وعمّرتم دنياكم، وأنتم تكرهون النُّقلة من العمران إلى الخراب)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (جاء رجل إلى أبي ذر، فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنّكم عمّرتم الدّنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تُنقلوا من عمران إلى خراب)[3].

إذاً فالذّم للدنيا إنّما يقصد منه ذمّ العلاقة القلبيّة بها، الموجبة

(١) الخصال، صفحة ١٣.

(٢) ميزان الحكمة ٨/٢٣١، برقم: ١٩٣٢٢.

(٣) ميزان الحكمة ٨/٢٣١ - ٢٣٢، برقم: ١٩٣٢٤.

لأسر الإنسان بيد الدّنيا، وهو يورث الرّياء وسوء الظن والحسد والحرص والطمع والكبر وحب المدح والتفاخر والمداهنة، وغيرها من الخصال السيئة والصفات الرذيلة، فحبّ الدنيا بهذه الطريقة يقود إلى الصدوف عن الحق، ونسيان الآخرة، وفقد القدرة على مواجهة الإغراءات والشهوات حيث تجد محبّها يركض خلفها ويسعى وراءها دون أن يمل أو يكل أو يشبع، فيرتكب المحرّمات ويكسب الآثام.. وإلى هذه الحقيقة يشير قول الإمام الصادق «عليه السلام»: (حب الدّنيا رأس كل خطيئة)[1].

وقول النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (أكبر الكبائر حبُّ الدّنيا)[2].

وقوله «صلى الله عليه وآله»: (حبُّ الدنيا أصل كلِّ معصية، وأول كلِّ ذنب)[3].

وقول الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (حبُّ الدنيا رأس الفتن وأصل المحن)[4].

وبيّن الله سبحانه من خلال آيات الكتاب المجيد حقيقة الدّنيا ومتاعها الفاني، فقال: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**

(١) الخصال، صفحة ٢٥.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٢٥٤، برقم: ٦٠٣٣.

(٣) ميزان الحكمة ٣/٢٥٤، برقم: ٦٠٣٤.

(٤) ميزان الحكمة ٣/٢٥٤، برقم: ٦٠٣٥.

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

ففي هذه الآية دعوة منه عزّ وجل للإنسان لأن يحسم أمر الدّنيا في فكره وعقله وحياته، وأن يتعامل معها على أنّها ممرٌّ لعالم آخر، فلا يتعامل معها إلاّ على هذا الأساس، على أنّها ليست بدار قرار وبقاء وخلود، وإنما هي معبرٌ يتزّود منه الإنسان بزاد الآخرة وهو التقوى، الذي يجعله مؤهلاً لأن يعيش السعادة في عوالم ما بعد الدّنيا، وخلاف ذلك فالدّنيا لا تعدو أن تكون إلاّ متاع الغرور.

فالدّنيا - وكما ورد في الرّوايات - وسيلة وهبنا الله إيّاها لأجل الوصول إلى رضوانه، فهي كما قال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (الدّنيا ملعونة وملعون ما فيها إلاّ ما ابتغي به وجه الله عزّ وجل)[2].

وقال الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة)[3].

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) ميزان الحكمة ٣/٢٤٨، برقم: ٥٩٧٤.

(٣) ميزان الحكمة ٣/٢٤٩، برقم: ٥٩٨٣.

ومن مواعظ لقمان لابنه: (وخذ من الدّنيا بلاغاً، ولا ترفضها فتكون عيالاً على النّاس، ولا تدخل فيها دخولاً يضرُّ بآخرتك)[1].

فكلُّ شيء فيها يمكن أن يكون وسيلة لبلوغ الكمال والسعادة في الآخرة، فيما لو انطوى على نيّة الخير، وقصد به وجه الله سبحانه، وكلُّ شيء فيها لو انطوى على نيّة الشّر، ولم يقصد به الله سبحانه وتعالى كان سبيلاً للشقاء والخسران المبين، قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[2].

فالدنيا إذا نظر إليها من زاوية أنّها مكان للامتحان والاختبار فليست بمذمومة، ولا حبّها لأنّها كذلك مذموم، إنّما المذموم هو حبُّ الدنيا لذاتها، الذي ينسي العبد ربّه وآخرته.

فلا قيمة للدنيا بحد ذاتها عند الله[3] كما ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء)[4].

(١) ميزان الحكمة ٣/٢٤٩، برقم: ٥٩٨٦.

(٢) الكهف:٧.

(٣) يروى أن النبي «صلى الله عليه وآله» مرّ بجدي أسَكَّ ملقى على مزبلة ميتاً، فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعلّه لو كان حيّاً لم يساو درهماً، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» : والذي نفسي بيده للدّنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله. (ميزان الحكمة ٣/٢٧٣، برقم: ٦١٧٨).

(٤) بحار الأنوار ٦١/٣٢.

فالمؤمن والكافر يتساويان في التمتع بنعم الدنيا وطيباتها بشكل عام، فلا يمكن التمييز بين طيب النّعمة عند المؤمن وطيّبها عند الكافر إلاّ بالكيفيّة التي تستثمر هذه النعم، فبعض هذه النعم يؤدي بصاحبه إلى الجنة، والبعض الآخر يؤدي بهم إلى جنهم والعياذ بالله!

وعندما يبيّن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين «عليهم السلام» حقارة الدّنيا وبلاءها وعدواتها لمن يستسلم لها، فليس الهدف من ذلك الدعوة إلى ترك الدّنيا والتّصوّف والتّرهب فيها، وإنّما ذلك دعوة إلى الزّهد فيها، على أساس أنّها دار زوال، وإلى عدم الإغترار بزينتها، لأنّ هذه الزّينة سيجعلها الله وبالاً على الإنسان إن لم يحسن التعاطي معها ضمن إطار الالتزام بالأحكام الشرعية المنبثقة عن الوحي الإلهي في القرآن الكريم والسّنة الشريفة.

وللدلالة على حقارة الدّنيا، روي أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» مر على مزبلة، فوقف عليها وقال: هلمّوا إلى الدنيا!، وأخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً نخرت، فقال: هذه الدّنيا[1].

وشُبّهت الدّنيا بالحيّة اللين مسها وفي جوفها السم الناقع، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إنّ في كتاب علي: إنمّا

(١) ميزان الحكمة ٣/٢٧٣، برقم: ٦١٧٩.

مثل الدنيا كمثل الحية، ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوى إليها الصبي الجاهل)[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (من ذا الذي يبني على أمواج البحر داراً، تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قراراً)[2].

هكذا نرى حقيقة الدّنيا من خلال هذه الأحاديث.. وبالرّغم من كلّ ذلك لا يلتفت معظم النّاس إلى قلّة ما بقي من الدّنيا بالإضافة إلى ما سلف منها، وذلك لأنّها دار غرور، تخدع النّاس بنعومة ظاهرها مع خشونة باطنها، وتغشّهم بنضارة أوّلها مع خيانة عاقبتها، إلى أن تملكهم زمام نعمها فيحرصون عليها ويحبّونها حبّاً جمّاً، فيطول بهم الأمل وينسون التوبة.

ولعلّ من البواعث على تسويف التوبة وتأخيرها عند البعض هو ظنّهم بأنّ في العمر متّسعاً ومجالاً للتوبة والإنابة، ولكن هيهات هيهات فقد يأتي الأجل حيث لا ينفع النّدم، وروي في هذا المجال أن جبرائيل «عليه السلام» قال لنوح «عليه السلام»: (يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر)[3].

(١) الكافي ٢/١٣٦.

(٢) جامع السعادات ٢/٢٠.

(٣) تنبيه الخواطر «مجموعة ورّام»، صفحة ١٣٩.

فإن كان هذا حال نبي الله نوح «عليه السلام» - بطول عمره - مع الدّنيا فما هو حالنا نحن؟

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

المال..البنون..العمل الصالح

المال .. البنون .. العمل الصالح

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

(إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محبّاً وإني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليَّ لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك...)[1].

المال:

يبيّن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» في حديثه هذا حال المال والأولاد والعمل الصالح بالنّسبة للإنسان ساعة موته ووقت رحيله من هذه الحياة الدّنيا، فكأنّما الإنسان يخاطب المال الذي

(١) الكافي ٣/٢٣٢.

بحوزته، والذي كان قد جمعه في حياته، فيقول له: ماذا تقدّم لي في هذه الساعة وأنا راحل عن هذه الدّنيا؟ فيأتيه الجواب من المال، أنّ كلّ ما بإمكاني أن أقدمه لك هو أن يشترى لك ببعضي كفناً لا أكثر من ذلك، فالمال الذي كان الإنسان في جمعه حريصاً، وفي صرفه شحيحاً بخيلاً، لا يقدّم للإنسان إلاّ ثمن الكفن، وأمّا الباقي فينتقل إلى الورثة .. ولا يعني هذا أنّ جمع المال مطلقاً مذموم في الشريعة الإسلامية، ولا حبّ الإنسان له كذلك، فحب الإنسان للمال أمر طبيعي، لأنّه من فروع حبّ النّفس وهو أمر فطري، فالإنسان بطبعه يجلب الخير لنفسه ويدفع عنها الشر، ولا شكّ أن المال خير، بل أطلق الخير على المال في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾[1]، وكما يستفاد من العديد من النّصوص الرّوائية، كقوله «صلى الله عليه وآله»: (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[2].

وما عن الإمام الصادق «عليه السلام»: (لا خير في من لا يحبُّ جمع المال من حلال، يكفُّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) ميزان الحكمة ٢٤٦/٨، برقم: ١٩٤٢٠.

رحمه)[1].

نعم المذموم من حبّ المال هو الحبّ الشديد له، كما في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2]، الوارد على سبيل الذّم، وقول الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»: (حبُّ المال يفسد المآل)[3].

وقوله «عليه السلام»: (حبُّ المال يقوّي الآمال ويفسد الأعمال)[4].

وقوله «عليه السلام»: (حبُّ المال يوهن الدّين، ويفسد اليقين)[5].

ذلك الحب الذي يكشف عن حرص شديد عند الإنسان على جمع المال، والسعي الحثيث لاكتسابه دون مبالاة في اكتسابه، سواء أكان من الحلال أم من الحرام، أو الذي يمتنع صاحبه عن أداء حقوق الله وحقوق النّاس فيه، فهذا هو الحبّ المذموم للمال لا مطلق الحب.

وقسمّ النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» النّاس من أمّته

(١) ميزان الحكمة ٨/٢٤٦، برقم: ١٩٤٢٨.
(٢) الفجر:٢٠.
(٣) ميزان الحكمة ٨/٢٤٥، برقم: ١٩٤٣١.
(٤) ميزان الحكمة ٨/٢٤٥، برقم:١٩٤١٥.
(٥) ميزان الحكمة ٨/٢٤٥، برقم: ١٩٤١٦.

في جمع المال إلى ثلاثة أصناف، فقال: (تكون أمتي في الدنيا ثلاثة أطباق: أما الطبق الأول، فلا يحبون جمع المال وادخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، وإنما رضاهم من الدنيا سد جوعة وستر عورة، وغناهم فيها ما بلغ بهم الآخرة، فأولئك الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما الطبق الثاني، فإنهم يحبون جمع المال من أطيب وجوهه وأحسن سبله، يصلون به أرحامهم، ويبرون به إخوانهم، ويواسون به فقراءهم، ولعض أحدهم على الرضف أيسر عليه من أن يكتسب درهماً من غير حله، أو يمنعه من حقه أن يكون له خازناً إلى حين موته، فأولئك الذين إن نوقشوا عذبوا وإن عفي عنهم سلموا.

وأما الطبق الثالث، فإنهم يحبون جمع المال مما حل وحرم، ومنعه مما افترض ووجب، إن أنفقوه أنفقوا إسرافاً وبداراً، وإن أمسكوه أمسكوا بخلاً واحتكاراً، أولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم)[1].

ولكون العلاقة بين الإنسان والمال وثيقة جدّاً، جعل الله عزّ وجل المال وسيلة لامتحان عباده، فقال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[2]، حيث يتم

(١) ميزان الحكمة ٨/٢٥٦، برقم: ١٩٤٤٨.

(٢) الأنفال:٢٨.

امتحانهم من جهة كسب المال والحصول عليه، بأن يكون اكتسابه من الطرق المشروعة لا من غير المشروعة، ويكون من جهة نفس السعي للحصول على المال، بأن لا يزاحم هذا السعي أداء العبد للفرائض والواجبات الإلهية، ويكون من جهة صرف المال وإنفاقه، بأن يصرف في الوجوه التي أباحت الشريعة الإسلامية صرف المال فيها، والامتناع عن إنفاقه في الوجوه التي حرّم الله سبحانه وتعالى إنفاق المال وصرفه فيها، وأن يخرج العبد من ماله ما أوجبه الله سبحانه فيه من حقوق وواجبات كالزّكاة والخمس وغيرهما[1] ، قال الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (أمّا حقّ مالك[2] فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه، ولا تُنفقه إلاّ في وجهه، ولا تُؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به، فتبوء بالحسرة والنّدامة مع التّبعة)[3].

ثم إنّ ما ذكرناه من جهات تتعلق بجمع المال وصرفه، والتي تكون مورداً لاختبار الله عزّ وجل لعبده هي سبيل للشيطان ينفذ من خلالها إلى الإنسان لإيقاعه في المعصية، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال: (قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم

(١) وهناك جهات أخرى مما هي مورد اختبار وامتحان العباد بواسطة المال، منها أن لا يخلّف المال عند العبد خصالاً سيئة كالطغيان والكبر والبطر والحرص والبخل أو غيرها من الخصال التي تحصل عادة للإنسان بسبب الغنى والثروة.

(٢) المراد بحق المال هو الطريق الذي يلزم المرء أن يسلكه في التعاطي مع المال.

(٣) ميزان الحكمة ٨/٢٥٥، برقم: ١٩٤٤٧.

منّي صاحب المال من إحدى ثلاث أغدو بهنّ وأروح: أخذه من غير حلّه، وإنفاقه في غير حقّه، وأحببه إليه فيمنعه من حقّه)[1].

وفي رواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إنّ الشيطان يدير ابن آدم في كلّ شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته)[2].

ولقد نجح الشيطان بمكره وحيله ووساوسه، وبواسطة حبائله وشراكه الكثيرة المتنوّعة والمختلفة، في إيقاع الكثيرين في المعصية والمخالفة الشرعية[3]، فهناك من النّاس من يجمع المال من غير حلّه[4]، فيسلك في سبيل كسبه الطرق المحرّمة، كالرّبا والقمار والاعتداء على أموال الآخرين، والاتجار بما حرّم الله الإتجار به، وغير ذلك، ومنهم من يصرف وقتاً كبيراً في جمع المال، حيث يكون جمع المال من الأولويّات المهمة لديه، فيتهاون في أداء الفرائض والواجبات كالصلاة وغيرها من الفرائض، وهذا معلوم ومعروف

(١) ميزان الحكمة ٨/٢٤٤، برقم: ١٩٤٠٦.

(٢) ميزان الحكمة ٨/٢٤٤، برقم: ١٩٤٠٧.

(٣) قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الإسراء:٦٤).

(٤) عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (قال الله عزّ وجل: من لم يبال من أيّ باب اكتسب الدّينار والدّرهم لم أبال يوم القيامة من أي أبواب النار أدخلته) (ميزان الحكمة ٨/٢٥٧، برقم: ١٩٤٥٤).

من حال الكثيرين ممن يحرصون على جمع المال وكسبه، ولا يهتم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه كمسؤوليّة تربية الأبناء والاهتمام بهم، وغيرها من المسؤوليات الأخرى، ومنهم من يصرف المال في معصية الله سبحانه وتعالى، ومنهم من يبخل به فلا يخرج منه حقوق الله وحقوق الناس، ولا ينفق منه شيئاً في سبيل الله[1].

إنّ البخل بالمال وعدم إنفاقه في سبيل الله هو من إيحاءات الشيطان الرجيم، فالشيطان يخوّف الإنسان من الفقر إن هو أنفق من ماله شيئاً، قال تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]، وأمّا الله سبحانه وتعالى فيأمر عباده بالإنفاق في سبيله، ويعدهم بالزيادة والمغفرة، حيث يضاعف لهم الزيادة أضعافاً مضاعفة، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي**

(١) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ -٣٥)، وعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (إنّ الله تبارك وتعالى يبعث ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حقّ الله في أموالهم) (ميزان الحكمة ٨/٢٦٧، برقم: ١٩٥٢٦).

(٢) البقرة: ٢٦٨.

سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

إذاً إنّ أراد العبد أن يكون المال خيراً له في الدّنيا والآخرة، لا وبالاً عليه فيهما لا سيما في الآخرة، فعليه أن يكتسبه من الحلال، وينفقه في الحلال، ويخرج منه ما افترضه الله سبحانه وتعالى عليه فيه من حقوق.

البنون:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (... **فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محبّاً وإني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها** ...).

وكأنّ الإنسان يخاطب أبناءه فيقول لهم: إنني الآن راحلٌ عنكم ومنتقل من عالم الدّنيا، ولقد كنت عنكم مدافعاً ولكم محبّاً، فماذا تقدّمون لي، فيأتيه الجواب منهم أنّ أكثر ما يمكن أن نقدّمه لك هو أن نوصلك إلى حفرتك وندفنك فيها. هذا هو أقصى ما يمكن أن يقدّمه الأبناء للآباء في تلك الساعة، نعم يمكن للعبد أن ينتفع من أبنائه حتّى بعد موته، وذلك إذا نشأوا أفراداً صالحين، فإن أيَّ عمل صالح يمارسه هؤلاء الأبناء يُشرك الله الوالدين في

(١) البقرة: ٢٦١.

ثوابه، ففي الخبر عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (مرَّ عيسى بن مريم «عليه السلام» بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل، فإذا هو لا يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب، ومررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فلهذا غفرت له بما فعل ابنه)[1].

فيستفاد من هذه الرّواية أنّ العمل الصالح الذي يعمله الأبناء ينعكس أثره على الآباء أيضاً، فيشاطرون الأبناء الجزاء والثواب عليه، وفي رواية عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته؛ رجل غرس نخلاً، أو حفر بئراً، أو أجرى نهراً، أو بنى مسجداً، أو كتب مصحفاً، أو ورّث علماً، أو خلّف ولداً صالحاً يستغفر الله له بعد وفاته)[2].

لذلك على الوالدين ولكي ينتفعا بالعمل الصالح لأبنائهم وبدعاء الأبناء واستغفارهم، أن يحرصا كل الحرص على أن ينشأ أبناؤهما أفراداً صالحين، ويربونهم تربية صحيحة وفق المنهج الإسلامي للتربية، فيغرسون في نفوسهم العقيدة الصحيحة ويعلّمونهم الفرائض والواجبات والأحكام الشرعية مما هو مورد

(١) الكافي ٦/٤.

(٢) ميزان الحكمة ٦/٢٢٢، برقم: ١٤٤٠٤.

ابتلائهم، ويحثّونهم على التّخلّق بالأخلاق الحميدة الفاضلة، كالصدق، وحفظ الأمانة، وتوقير الكبير، والعطف على الصغير، والعفو عن المسيء، ومساعدة المعوزين، وشكر المحسنين، وغيرها من السجايا والخصال النبيلة.

ومن المهم جدّاً في صلاح الأبناء أن يمنع الآباء الأبناء من معاشرة القرناء المنحرفين، وتوجيههم إلى مصاحبة الأشخاص الصالحين، لأن المرء يتأثر بصاحبه وصديقه، فيكتسب من أخلاقه وطباعه، قال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[1].

والشواهد في مسرح الحياة كثيرة، فكم من الأشخاص انحرفوا عن الصراط المستقيم، وانغمسوا في الفساد والرّذيلة لتأثرهم بقرناء السوء[2].

فكم من شاب احتسى الخمر أو تعاطى المخدّرات، والسبب في ذلك هم قرناء السوء. وكم من فتاة كان سبب تبرّجها وسفورها هو تقليدها لصاحبات السوء. وكم من شاب ترك الفرائض

(١) أمالي الطوسي، صفحة ٥١٨.

(٢) قال النبي «صلى الله عليه وآله» : (مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تجد ريحاً خبيثة) (صحيح البخاري ٦/٢٣١).

واستهزأ بالدّين والمبادئ والأعراف الحسنة بسبب مخالطته للمنحرفين من الأصدقاء والأصحاب. وكم من فتاة سارت في طريق الفساد وفعل المنكرات، ومرّغت شرفها وشرف أسرتها في الوحل بسبب ما زيّنته لها صديقات السوء. وكم من شاب احترف الإجرام بمختلف أشكاله وصنوفه، وكانت بدايته في الإنحراف هي صحبته لأصحاب وقرناء السوء، وتزيينهم ذلك له.

فالأبناء أمانة وضعها الله بيد الآباء، وهم مسئولون عنها، يقول الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (وأمّا حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنّك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه)[1].

إن الأبناء الصالحين لا ينسون أبداً جميل الوالدين عليهم، فيقومون من بعد وفاتهما بالدعاء لهما بالمغفرة والرحمة، ويمارسون الأعمال العبادية ويفعلون المستحبات الدينية ويهدون ثوابها إليهما، ففي الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ عن ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية)[2].

(١) الخصال، صفحة ٥٦٨.

(٢) مستدرك الوسائل ١٢/ ٢٣٠.

العمل الصالح:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (... **فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليَّ لثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربّك...**)

وكأنه يخاطب عمله الصالح فيسأله ويقول له: ماذا تقدّم لي الآن وأنا في هذه الحال، فيجيبه عمله أنا رفيقك في قبرك إلى أن نقف أنا وأنت بين يدي الله.

فعن النبي «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع إثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله)[1].

وعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (المرء لا يصحبه إلاّ العمل)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (إذا وضع الميت في قبره، مثل له شخص فقال له: يا هذا كنّا ثلاثة؛ كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أمّا أنّي كنت أهون الثلاثة عليك)[3].

(١) ميزان الحكمة ٦/٢٢٢، برقم: ١٤٤٠٣.
(٢) ميزان الحكمة ٦/٢٢٢، برقم: ١٤٤٠٥.
(٣) ميزان الحكمة ٦/٢٤٥، برقم: ١٤٥٢٥.

ويستفاد من بعض الرّوايات أن العمل إذا كان صالحاً فإنه يكون مصدر سرور وفرح لصاحبه، وإذا كان سيئاً فإنّه يكون مصدر إزعاج وأذيّة لفاعله، ففي الرّواية أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لشخص يدعى قيس بن عاصم وهو يعظه: (إنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلاّ معك، ولا تبعث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، ولا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك)[1].

وينقل أنّ العلامة بهاء الملّة والدّين والد الشيخ البهائي العاملي «رحمهما الله تعالى» ذهب لزيارة أحد المؤمنين وكان هذا المؤمن قيّماً على مقبرة في أصفهان وكان يسكن فيها، فقال له هذا المؤمن: (رأيتُ في هذه المقبرة قبل اليوم أمراً غريباً، وهو أني رأيت جماعةً جاؤوا بجنازة إلى هذه المقبرة ودفنوها وانصرفوا.. وبعد مضي ساعة شممت رائحة عطرة ليست من روائح هذه النشأة، فبقيت متحيّراً أنظر يميناً وشمالاً لأعرف منشأ هذه الرائحة العطرة، وفجأة رأيت شاباً وسيماً في زي الملوك يذهب باتجاه ذلك القبر، فمشى حتى وصل إلى القبر، فتعجبت من مجيئه إلى هذا القبر، وما أن جلس إلى جانبه حتى اختفى وكأنه دخل القبر.. بعد ذلك بفترة وجيزة شممت رائحةً خبيثةً أشدَّ

(١) ميزان الحكمة ٦/ ٢٤٤، برقم: ١٤٥٢٠.

نتناً من أية رائحة نتنة، نظرت فإذا بي أرى كلباً يقتفي أثر ذلك الشاب حتى وصل إلى القبر واختفى، وزاد تعجبي! وفيما أنا كذلك إذا بذلك الشاب يخرج فجأة سيء الحال، سيء الهيئة، مثخناً بالجراح، ورجع من حيث أتى، ومشيت في أثره ورجوته أن يخبرني بحقيقة حاله.

قال: أنا العمل الصالح لهذا الميت، وكنت مأموراً أن أكون معه في القبر، وفجأة جاء هذا الكلب الذي رأيته وهو عمله غير الصالح، فأردت إخراجه من القبر وفاء بحق الصحبة للميت، فعضني هذا الكلب واقتطع بعض لحمي وجرحني كما ترى، ومنعني من البقاء معه، فاضطررت لترك القبر فخرجت وتركته...).

من هدي الإسلام

بحوث ومقالات

برُّ الوالدين والإحسان إليهما

برُّ الوالدين والإحسانُ إليهما

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

(كن باراً واقتصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فظّاً فاقتصر على النار)[1]

أكّد الإسلام على برِّ الوالدين والإحسان إليهما، وجعل ذلك أمراً واجباً، وفريضة يأتي في المرتبة التالية لعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، فقال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[2]، وقال: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[3]، وقال عزّ من قائل: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[4].

وبيّن الإمام الصادق «عليه السلام» في حديث له المعنى المراد من الإحسان إلى الوالدين، فقال: (الإحسان أن تحسن

(١) الكافي ٢/٣٤٨.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) البقرة: ٨٣.

(٤) الأنعام: ١٥١.

صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين)[1].

فعلى الأبناء توقير الوالدين، واحترامهما، وتعظيم شأنهما، وخفض الجناح لهما، والتعامل معهما بالأخلاق الحسنة، فلا ينهر الابن والديه، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يؤذيهما بأيّ نوع من أنواع الأذيّة، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[2]، فإذا حصل أن أراد الابن أن يناقش أحد والديه في بعض آرائه، التي يرى الابن حسب نظره عدم صحّتها، فهذا وإن كان لا مانع منه شرعاً، إلاّ أنّه يلزم الابن أن يراعي أدب الحوار والنقاش معهما؛ من الهدوء وعدم رفع الصوت فوق صوتهما، ودون أن يستخدم الألفاظ الخشنة، وإنّما بالقول الليّن الذي لا غلظة فيه، ولا حدّة، ولا قوّة، ولا عنف، لا سيما إذا وصلا إلى مرحلة متقدمة من السّن، لأنّهما في حالة الشيخوخة يكونا أكثر تأثراً ببعض أفعال وأقوال الأبناء، فتولّد عندهما انزعاجاً وأذى، قد يكون في بعض حالاته شديداً عليهما، ولأنّهما في هذه المرحلة يحتاجان إلى الرّعاية والعناية والإحسان

(١) الكافي ٢/١٥٧.

(٢) الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

من قبل الإنباء بشكل أكبر وأكثر لضعفهما وعدم إمكانهما القيام بقضاء الكثير من حوائجهما، الأمر الذي يستدعي لزوم وقوف الأبناء معهما وأن يجبروا ضعفهما، كما ويجب على الأبناء الإنفاق عليهما في حالة عسرهما بدفع النفقة اللائقة بحالهما، كل ذلك عرفاناً من الأبناء لجميلهما، وشكراً لهما، لما لهما من الفضل في إنجاب الأبناء، ولما تحمّلاه من متاعب الرّعاية والتربية.

ولم تخص الشريعة الإسلامية الوالدين المسلمين بوجوب إحسان الأبناء لهما وبرّهما، وإنّما أوجبت ذلك لهما وإن كانا كافرين مشركين، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين)[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (بر الوالدين واجب، فإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[2].

وعن زكريّا بن إبراهيم، قال: (كنت نصرانياً فأسلمت، وحججت فدخلت على أبي عبد الله «عليه السلام» فقلت : إني

(١) الكافي ٢/١٦٢.
(٢) بحار الأنوار ٧١/٧١.

كنت على النصرانية وإني أسلمت، فقال: وأي شيء رأيت في الإسلام؟ قلت: قول الله عز وجل: ﴿**مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ**﴾[1]، فقال: لقد هداك الله، ثم قال: اللهم اهده -ثلاثاً-، سل عما شئت يا بني، فقلتّ: إن أبي وأمي على النصرانية وأهل بيتي، وأمي مكفوفة البصر فأكون معهم وآكل في آنيتهم؟ فقال: يأكلون لحم الخنزير؟

فقلت: لا ولا يمسونه، فقال: لا بأس، فانظر أمك فبرها، فإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، كن أنت الذي تقوم بشأنها ولا تخبرن أحداً أنك أتيتني حتى تأتيني بمنى إن شاء الله.

قال: فأتيته بمنى والناس حوله كأنه معلم صبيان، هذا يسأله وهذايسأله، فلما قدمت الكوفة ألطفت لأمي وكنت أطعمها وأفلي ثوبها ورأسها وأخدمها، فقالت لي: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وأنت على ديني، فما الذي أرى عنك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية؟ فقلت: رجل من ولد نبينا أمرني بهذا، فقالت: هذا الرجل هو نبي؟ فقلت: لا ولكنه ابن نبي، فقالت: يا بني إن هذا نبي، إن هذه وصايا الأنبياء، فقلت : يا أمه إنه ليس يكون بعد نبينا نبي ولكنه ابنه، فقالت: يا بني دينك خير دين، اعرضه عليّ فعرضته عليها، فدخلت في الاسلام وعلمتها، فصلت الظهر

(١) الشورى: ٥٢.

والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم عرض لها عارض في الليل، فقالت: يا بني أعد علي ما علمتني فأعدته عليها، فأقرت به وماتت، فلما أصبحت كان المسلمون الذين غسلوها، وكنت أنا الذي صليت عليها ونزلت في قبرها)[1].

الأم أجدر بالإحسان:

ومع أنّ الشريعة الإسلامية أمرت الأبناء ببر كلا الوالدين والإحسان إليهما، إلاّ أنّها خصت الأم بمزيد من البر والإحسان، وذلك لفضلها الكبير على الأبناء؛ من حملها لهم تسعة أشهر في بطنها، مع معاناتها من آلام الحمل، وأوجاع الولادة، ومن سهرها ليلاً عندما ينهض طفلها من نومه، لإرضاعه ومحاولة تنويمه مرّة أخرى، ولما تعيشه من أذى نفسي عندما يمرض أبناؤها، لكل ذلك وغيره من الجميل الذي قدّمته لأبنائها مما لم يقدّمه مخلوق آخر لهم، كانت أحقّ ببرهم وإحسانهم، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (جاء رجل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك)[2].

وفي لفظ آخر، أنّ رجلاً جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) الكافي ٢/١٦١.

(٢) الكافي ٢/١٦٠.

فقال: (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك)[1].

الإحسان إلى الوالدين وبرهما لا يقتصر على حياتهما:

ولا يقتصر برّ الوالدين والإحسان إليهما على حياتهما، فهو واجب على الأبناء في حال حياتهما وحال مماتهما، فلا يسقط حقّهما بالموت، حيث دلّت بعض الرّوايات على أن من ترك برَّ والديه والإحسان إليهما بعد وفاتهما فهو بمنزلة العاق لهما، وإن كان في حال حياتهما قد أدّى ما عليه من حقوق تجاههما، فعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (إنّ العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان، فلا يقضي عنهما ديونهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما، غير بار بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما، فيكتبه الله عزّ وجل باراً)[2].

فعلى الأبناء ومن باب برّ الوالدين والإحسان إليهما، أن يؤدّوا ما فاتهما من الفرائض والواجبات حال الحياة، كالصلاة، والصيام، والحج، وأن يقضوا ديونهما مما كان عليهما للناس،

(١) صحيح مسلم ٢/٨.

(٢) الكافي ١٦٣/٢.

ويعملوا بوصيتهما، وأن يمارسوا الدعاء لهما، فيسألوا الله لهما العفو والمغفرة والرّحمة، ويتصدقوا عنهما، ويأتوا بالأعمال المستحبّة نيابة عنهما، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» عن آبائه الطاهرين الكرام «عليهم السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (سيد الأبرار يوم القيامة رجل برَّ والديه بعد موتهما)[1].

وعنه «عليه السلام» قال: (ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين، يصلي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيراً كثيراً)[2].

وعن أسيد بن مالك قال: (بينما نحن عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ جاءه رجل من بنى سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما[3]، والاستغفار لهما، وانفاذ عهودهما[4]، واكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلاّ من قبلهما)[5].

(١) ميزان الحكمة ٩/٥٦٨، برقم: ٢٢٦٥٩.
(٢) الكافي ٢/١٥٩.
(٣) أي: الدعاء لهما.
(٤) أي: تنفيذ وصيتهما.
(٥) المستدرك على الصحيحين ٤/١٥٥.

حدود طاعة الأبناء للوالدين:

إنّ من المسائل المهمّة التي تطرح عند الحديث عن علاقة الأبناء بالوالدين، مسألة حدود طاعة الأبناء للوالدين، فيما يطلبانه منهم أو يأمرانهم به أو ينهيانهم عنه، وذلك في غير ما إذا أمرا بترك واجب أو فعل محرّم، إذ لا طاعة لهما في ذلك، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قال: (لا طاعة لأحد في معصية الله، إنّما الطاعة في المعروف)[1].

وفي رواية عنه «صلى الله عليه وآله»: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[2].

أمّا في غير ذلك، فهل يجب على الأبناء طاعة الوالدين طاعة مطلقة أم أنّ لطاعتهما حدود؟

إنّ وجوب الطاعة للوالدين على أبنائهم إنّما يكون في خصوص ما يعرف بالأوامر الإشفاقيّة، فلو أمر الأب أو الأم ابنهما أمراً سببه إشفاقهما وخوفهما عليه، فلا يجوز له مخالفتهما، ومثال ذلك ما لو أنّهما منعاه من السفر إلى مكان ما شفقة عليه، خوفاً عليه من الضرر، فتجب عليه طاعتهما في ذلك، ولا يجوز له مخالفتهما في منعهما هذا، وأمّا في غير الأوامر الإشفاقيّة

(١) مسند أحمد ١/٩٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤/٣٨١.

فلا تجب عليه طاعتهما، ومثال ذلك ما لو اختار الولد فتاة ليقترن بها كزوجة، وكانت مقبولة لديه من جهة دينها وأخلاقها ومستواها الفكري والتعليمي، وكذلك من ناحية شرفها ونسبها، ومنعه أحد والديه من الزّواج منها لمجرّد عدم رغبته في زواج ابنه من العائلة الفلانيّة، أو من ابنة فلان، أو ابنة فلانة، فإنّه لا يجب شرعاً على الولد أن ينصاع إلى هذا المنع، وله أن يتزوّج من هذه الفتاة، أو لو أنّ البنت اختارت رجلاً معيناً لتقترن به كزوج، وعارض الأبوان أو أحدهما ذلك، لا لأنّه غير كفوء لها، وإنّما لعدم رغبتهما في زواج ابنتهما من هذا الرجل، لأنّه ابن العائلة التي لا يتفاعل معها الأبوان أو أحدهما، فلا يجب شرعاً على البنت الطاعة لهما في مثل هذا المورد، نعم موافقة الأب بالنّسبة لزواج البنت البكر مطلوب شرعاً.. ومن الجيّد والمفيد أن تراعي البنت نصائح الوالدين وتأخذها بنظر الاعتبار، لكنّه في حال ما إذا وقع الخلاف بين البنت ووالديها في اختيار الزّوج، فالقرار هو قرار البنت، ولا يجب عليها الطاعة لهما إذا لم يكن هناك سبب لهذا الرّفض يعود إلى شفقتهما عليها، (نعم الأفضل بل الأحوط إطاعتهما مهما أمكن، والاجتناب عن معصيتهما خصوصاً في الموارد التي يكون الأمر والنّهي في مصلحة الولد، لا من جهة مصلحتهما)[1].

(١) الذنوب الكبيرة ١/١٤٩ - ١٥٠.

من آثار بر الوالدين والإحسان إليهما:

وبغضّ النظر عن ما لبر الوالدين والإحسان إليهما من ثواب جزيل عند الله سبحانه وتعالى، لكونه فرض من الله امتثله الأبناء، فلهم ثواب هذا الامتثال، وأنّ برّهما والإحسان إليهما موجب لرضا الله عزّ وجل على عبده كما في الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين)[1]، وأنّه سبيل إلى الجنّة، كما في الحديث الشريف عنه «صلى الله عليه وآله»: (كن باراً واقتصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فظّاً فاقتصر على النار)[2]، فإنّ له آثاراً وضعيّة من زيادة عمر البّار، والزيادة في رزقه والبركة فيه، وغير ذلك، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (من سرّه أن يمدّ له في عمره، ويزاد في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه)[3].

وعنه «صلى الله عليه وآله» أيضاً: (من برّ والديه طوبى له، زاد الله في عمره)[4].

ومن آثاره أيضاً أنّ الله عزّ وجل يخفف عن البار سكرات الموت، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (من أحب أن

(١) الكبائر للذهبي، صفحة ٦٦.

(٢) الكافي ٢/٣٤٨.

(٣) ميزان الحكمة ٩/٥٦٧، برقم: ٢٢٦٤٣.

(٤) ميزان الحكمة ٩/٥٦٧، برقم: ٢٢٦٤٦.

يخفف الله عز وجل عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وصولاً، وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك، هون الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبداً)[1].

ومن آثار برّ الوالدين أنّ من برّ والديه برّه أبناؤه، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم)[2].

فليحرص الأبناء على بر والديهم، وليحذروا من عقوقهما، وهو الإساءة إليهما بأي وجه يعدّ تنكراً لجميلهما على الولد، فهو من الكبائر، كما هو صريح العديد من الرّوايات، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: (عقوق الوالدين من الكبائر؛ لأنّ الله تعالى جعل العاق عصيّاً شقيّاً)[3].

وكما أنّ من محاسن بر الوالدين أن البارّ لوالديه يبرّه أبناؤه، فكذلك من عقّ والديه يعقّه أبناؤه، فكما تدين تدان.

ينقل عن الأصمعي أنّه قال: (حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبرّ الناس. فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل، يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجر والحرّ الشديد، وخلفه شاب في يده

(١) بحار الأنوار ٦٦/٧١.

(٢) ميزان الحكمة ٥٦٧/٩، برقم: ٢٢٦٥٣.

(٣) ميزان الحكمة ٥٧٢/٩، برقم: ٢٢٦٨٦.

رشاء من قدّ ملوي، يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل.

فقلت له: أما تتقي اللّه في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟

قال: انه مع هذا أبي.

قلت: فلا جزاك اللّه خيراً.

قال: اسكت، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده.

فقلت: هذا أعق الناس.

ثم جلت أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه كما يزق الفرخ.

فقلت له: ما هذا؟

فقال: أبي، وقد خرف، فأنا أكفله.

قلت: فهذا أبرّ العرب. فرجعت وقد رأيت أعقّهم وأبرهم)[1].

ومن آثار عقوق الوالدين أيضاً، أنّ العقوق يؤدّي إلى سوء الخاتمة، فيخرج العاقُّ من الدنيا فاقداً لإيمانه، ويرى ساعة احتضاره أهوالاً مرعبة مريعة، فعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: (إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حضر شاباً عند

(١) أخلاق أهل البيت، صفحة ٢٤٥.

وفاته، فقال له: قل، لا إله إلا الله. قال: فاعتقل لسانه مراراً.

فقال لإمرأة عند رأسه: هل لهذا أم؟ قالت: نعم ، انا أمه، قال «صلى الله عليه وآله»: أفساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كلمته منذ ستة حجج، قال «صلى الله عليه وآله» لها: أرضي عنه، قالت: رضي الله عنه يا رسول الله برضاك عنه. فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قل لا إله إلا الله، قال: فقالها، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أسود الوجه قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح، قد وليني الساعة وأخذ بكظمي، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: قل يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، أقبل مني اليسير واعف عني الكثير، إنك أنت الغفور الرحيم، فقالها الشاب، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: انظر ما ذا ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللون حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قد وليني، وأرى الأسود قد تولى عني، فقال له: أعد فأعاد، فقال له: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثم طفا على تلك الحال)[1].

فلولا وجود النبي «صلى الله عليه وآله» عند هذا الشاب ساعة موته، ولولا طلبه من أمّه أن ترضى عنه، وتكراره لتلك الكلمات

(١) مستدرك الوسائل ١٢٩/٢.

التي طلب النبي «صلى الله عليه وآله» منه تكرارها الأمر الذي أدّى إلى عفو الله سبحانه وغفرانه له عقوقه لأمّه لكان خرج من الدّنيا - والعياذ بالله - بلا إيمان.

من حقوق الأبناء على الوالدين

ي الإسلام

ن ومقالات

من حقوق الأبناء على الوالدين

قال الإمام زين العابدين «عليه السلام»:

(وأمّا حقّ ولدك فأن تعلم انّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وإنّك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّ وجلّ، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه)[1].

إنّ الشريعة الإسلامية وكما أنّها جعلت للوالدين حقوقاً على الأبناء، فكذلك جعلت للأبناء حقوقاً على الوالدين، وأهم هذه الحقوق:

حق الأبناء في حسن اختيار الوالدين:

تبدأ حقوق الأبناء في الإسلام في مرحلة مبكرّة، قبل زواج الوالدين، وذلك بحسن اختيار كل واحد منهما للآخر، فعلى الرجل أن يختار المرأة التي يريد أن يقترن بها كزوجة والتي ستكون أمّاً لأبنائه، وكذلك على المرأة أن تختار الرجل الذي

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت ٣/١٩٣.

ستقترن به كزوج، والذي سيكون أباً لأبنائها، وذلك وفق معايير وسمات وصفات أرشدت إليها الشريعة الإسلامية، وأهمّها:

١- التديّن:

فأوّل صفة ينبغي للرجل أن يختار المرأة وفقها هي صفة التدّين، فعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[١].

وقال «صلى الله عليه وآله»: (لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين، أفضل)[٢].

فيستفاد من هذه النصوص أنّ أهم صفة ينبغي للرجل أن يبحث عنها في المرأة هي صفة التديّن، وأن يكون البحث عن الصّفات الأخرى كالجمال وغيره بعد صفة التدّين، والمراد بالمرأة المتديّنة هي تلك المرأة المسلمة الملتزمة بأحكام الشرع الشريف، الفاعلة للواجبات، التاركة للمحرّمات، لأنّ من أهم ثمار الاقتران بكهذا امرأة:

(١) صحيح مسلم ٤/١٧٥.

(٢) سنن ابن ماجة ١/٥٩٧.

١-أنّها تكون محافظة على عرضها وشرفها وكرامتها، وزوجها يكون مطمئناً له من هذه الجهة، وملتزمة بما عليها من حقوق وواجبات تجاه زوجها وأبنائها، وهذا مما يكسب الحياة الزّوجية استقراراً وبقاءً واطمئناناً وثقة.

٢- أنّها تحافظ على بيت زوجها وأمواله وما يختصُّ به مما هو تحت إشرافها ونظرها في البيت.

٣- أنّها تهتم بتربية أبنائها، فتربيهم تربية صحيحة، وتحرص على أن يكونوا مثلها ملتزمين بتعاليم وأحكام الدّين.

٤- تقوم بواجبي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيتها، فإذا رأت زوجها تاركاً لمعروف أو مرتكباً لمنكر، فإنّها تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وكذلك إذا صدر من أبنائها ما يستلزم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فإنّها تقوم بواجبها الشرعي تجاههم، فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فهي خير من يسلك بالزّوج والأبناء إلى طريق النّجاة وسبيل الخير والتقوى والورع والكمال الإنساني، ويؤمّن للزوج ولأبنائه أسباب النجاة والسعادة.

أمّا المرأة غير المتديّنة، التي لا تلتزم بأحكام الدّين، الفاعلة للمحرّمات التاركة للواجبات، أو التي تكون مبعضّة في تديّنها والتزامها بأحكام الدين وتعاليمه، ملتزمة ببعض الواجبات وغير

ملتزمة ببعضها الآخر، تاركة لبعض المحرّمات والمنهيّات، وغير تاركة لبعضها، فإن هذه المرأة تكون في أغلب الحالات بعكس المرأة المتديّنة، فإذا كانت - مثلاً - غير ملتزمة بالحجاب والستر الشرعي، فإنّ بناتها في أغلب الحالات يكنّ مثلها، فهي لا تربي بناتها على الالتزام بالحجاب والستر الشرعي، لأنّها هي غير ملتزمة به، والمرأة التي لا تؤدّي فريضة الصلاة وتتكاسل عنها وتتهاون في أدائها، تأتي بها أحياناً وتتركها أحياناً أخرى، فإنّها لا تحث أبناءها على الاهتمام بالصلاة، والتي لا تؤدي فريضة الصوم تكون كذلك لا تهتم بأداء أبنائها لهذه الفريضة، فمثل هذه المرأة تكون قدوةً سيئةً لأبنائها، بينما المرأة المؤمنة المتديّنة تحرص على التزام أبنائها بالفرائض الإلهية، وتحثهم على أدائها، وتعلّمهم الأحكام الشرعية المتعلّقة بالتكاليف الشرعية المتوجة إليهم بقدر معرفتها واستطاعتها.

وكذلك على المرأة أن تختار الرجل المتديّن، وهو الرّجل المسلم الملتزم بأحكام الدين وتعاليم الشريعة السمحاء، فمثل هذا الرجل سيلتزم بما عليه من حقوق وواجبات لزوجته وأبنائه، وسيحرص على التزامهم بأحكام الدين وتعاليمه، وسيقوم بواجبي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاههم في حالة ما إذا كانت الزوجة أو أحد الأبناء قد ترك معروفاً أو فعل منكراً، وسيكون قدوة

حسنة لهم في تديّنه وسلوكه وسيره في طريق الحق والاستقامة.

فهذا النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يوجّه أولياء الأمور إلى تزويج بناتهم من الرّجل المتدين الذي يمتلك أخلاقاً حميدة، فيقول: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، ألاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[1].

أمّا الرجل غير المستقيم على جادة الشريعة الإسلامية، المتجرّء على الله بفعله للمحرّمات، فإنّه سيكون قدوة سيئة لأبنائه، ولن يهتم بتربيتهم وتنشئتهم على الالتزام بالدّين، ولا بتعليمهم شيئاً من أحكام الشرع الشريف والفرائض التي أوجبها الحق سبحانه وتعالى وفرضها عليهم.

وركّزت الرّوايات الشريفة على عدم تزويج الأشخاص الذين يمارسون ذنوباً مخصوصة التي عادة ما يكون أثرها على الأسرة والأبناء كبيراً وخطيراً، كشرب الخمر مثلاً، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (من شرب الخمر بعد ما حرمها الله على لساني، فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب)[2].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها)[3].

(١) عوالي اللئالي ٣/٣٤٠.
(٢) الكافي ٥/٣٤٨.
(٣) الكافي ٥/٣٤٧.

٢-الأخلاق الحسنة:

الأمر الثاني الذي ينبغي للرجل أن يهتم به ويبحث عنه في المرأة التي يريد الزّواج منها هو اتّصافها بالأخلاق الحسنة، فالمرأة المتخلّقة بالأخلاق الفاضلة ستتعامل مع زوجها انطلاقاً من هذه الأخلاق وستربّي أبناءها على التخلّق والتحلّي بمثلها، يقول الشاعر:

وأخلاق الوليد تقاس حسناً ** بأخلاق النساء الوالدات

وليس ربيب عالية المزايا ** كمثل ربيب سافلة الصفات

فليس أبناء المرأة ذات الأخلاق الحسنة الحميدة من حيث الأخلاق مثل أبناء المرأة ذات الأخلاق الفاسدة السيئة، فالمرأة ذات الأخلاق الحسنة تكون قدوة حسنة لأبنائها بأخلاقها وتعلّمهم وتربيهم عليها، فتكون أخلاقهم حسنة فاضلة كأخلاقها، والمرأة سيّئة الأخلاق تكون قدوة سيئة لأبنائها بأخلاقها، ولا تهتم بتربيتهم على محاسن الأخلاق وأفضلها، فعادة ما يكونون مثل أمهم، أخلاقهم فاسدة كأخلاقها[1].

وكذلك على المرأة أن تختار الرجل صاحب الأخلاق الحميدة، لأنّه سيتعامل معها من منطلق هذه الأخلاق، فلن يظلمها شيئاً

(١) وحذّرت الشريعة الإسلامية من تزّوج الحمقاء، فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: «إياكم وتزويج الحمقاء فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع» (الكافي ٥/٣٥٤).

من حقوقها، وسيحرص على أن يكون أبناؤه مثله في أخلاقهم ومزاياهم، ومرّ علينا حديث النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يأمر فيه أولياء الأمور بتزويج بناتهم ممن يرتضى خلقه وتديّنه من الرّجال: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه...).

وأمّا الرجل سيء الأخلاق فهو كالمرأة سيئة الأخلاق، يؤثر بأخلاقه سلباً على أبنائه، ففي الأغلب ينشأؤون مثل أبيهم في أخلاقهم وسلوكياتهم، وغالباً ما سيتعامل مع زوجته بتصرفات يكون منطلقها تلك الأخلاق السيئة، فيؤدي ذلك إلى لحوق الأذى بها أو غمطها حقوقها.

٣- النَسب:

وعلى الرّجل أن يختار المرأة من عائلة وأسرة غير مخدوشة في نسبها وشرفها، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)[1].

وعلى المرأة أيضاً أن تختار الرجل من عائلة وأسرة ذات سمعة حسنة، غير مقدوح في نسبها وشرفها، لأنت السمعة الحسنة لأسرة الأب والأم تنعكس إيجابيّاً على الأبناء بينما سمعتها السيئة تنعكس سلباً عليهم، ويخلّف ذلك لديهم الكثير من العقد النّفسيّه

(١) الكافي ٥/٣٣٢.

والأمراض الرّوحيّة، خصوصاً إذا كانوا في متناول ألسنة النّاس بسبب سمعة عائلة الأب أو الأم السيئة.

٢- اختيار الاسم الحسن:

فالاسم له تأثير على الإنسان لأنّه مرتبط به، ويعرف به بين النّاس، فإن كان حسناً كان تأثيره عليه حسناً، وإن كان سيئاً كان تأثيره عليه سيئاً، فلذلك جعلت الشريعة الإسلامية للابن حقّاً على والده وهو أن يحسّن اسمه، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (حق الولد على والده إذا كان ذكرا أن يستفره أمه، ويستحسن اسمه، ويعمله كتاب الله ويطهره، ويعلمه السباحة وإذا كانت أنثى أن يستفره أمها، ويستحسن اسمها ...)[١].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعاً صالحاً)[٢].

وعنه «صلى الله عليه وآله»أيضاً: (من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ)[٣].

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»، قال: (أول ما يبرُّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده)[٤].

(١) الكافي ٦/٤٩.
(٢) بحار الأنوار ٧٤/٥٨.
(٣) بحار الأنوار ٧١/٨٠.
(٤) الكافي ٦/١٨.

وأحسن الأسماء وأفضلها ما يشعر بالعبودية لله سبحانه وتعالى مثل عبد الله وعبد الرحيم وعبد الرّحمن، وأسماء الأنبياء كمحمد «صلى الله عليه وآله» وعيسى وإبراهيم «عليهما السلام»، وأسماء الأوصياء كعلي والحسن والحسين «عليهم السلام».

وعن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن «عليه السلام» يقول: (لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء)[1].

٣- التربية:

ومن حقوق الأبناء على الوالدين، أن يقوما بتربية أبنائهما تربية صحيحة سليمة، ونعني بالتربية؛ الاهتمام بالجانب الجسدي والنّفسي، الجانب المادي والجانب المعنوي للأبناء، أمّا بالنسبة للجانب المادي الجسدي، فعلى الأب أن يهتم بهذا الجانب لأبنائه فيوفر لهم المسكن والملبس والمأكل والعلاج وغير ذلك مما يدخل تحت عنوان النفقة، فهي أمر واجب على الأب تجاه أبنائه[2].

وللأسف الشديد إنّ بعض الآباء ينفق على أبنائه من الحرام، يطعمهم الحرام، ويلبسهم من الحرام، ويسكنهم في منزل بني

(١) الكافي ٦/١٩.

(٢) إنما يجب على الأب الإنفاق على أبنائه إذا كان غنيّاً وكانوا فقراء.

من مال حرام، إنّ مثل هذا الأب مقصّرٌ في حقوق أبنائه ومأثوم ومعاقب على إنفاقه عليهم من الحرام، إنّ الأب المسلم الملتزم بحقوق أبنائه وأحكام دينه هو من يجنّب أبنائه الحرام وينهاهم عنه، فينقل أن أحد الصحابة من الأنصار، اسمه أبو دجانة الأنصاري كان مواظباً على صلاة الفجر جماعة خلف النبي «صلى الله عليه وآله»، ولكنه كان يخرج مسرعاً بعد انتهاء الصلاة مباشرة، فأوقفه النبي «صلى الله عليه وآله» يوماً وسأله قائلاً: يا أبا دجانة، أليست لك عند الله حاجة؟ فقال أبو دجانة: يا رسول الله إنّه ربي ولا أستغني عنه طرفة عين، فقال «صلى الله عليه وآله»: إذاً لماذا لا تنتظر حتى تختم الصلاة ثم تدعو الله بما تريد؟ قال أبو دجانة: إن لي جاراً من اليهود، وله نخلة يمتد فروعُها في صحن داري فإذا هبت الريح ليلاً أسقطت رطبها عندي، لذلك أخرج مسرعاً لأجمع ذلك الرطب، وأردّه إلى صاحبه قبل أن يستيقظ أطفالي فيأكلوا منه وهم جياع، وأقسم لك يا رسول الله إنني رأيت أحد أولادي يمضغ تمرةً فأدخلت إصبعي في حلقه فأخرجتها قبل أن يبتلعها، ولما بكى ولدي من الجوع، قلت له: أما تستحي من وقوفي أمام الله سارقاً.

فانظروا كيف أنّ هذا المسلم كان حريصاً على أن لا يدخل جوف أبنائه شيء من الحرام لعلمه بما لتناول الحرام من آثار سلبية عليهم.

وأما بالنسبة إلى الجانب الرّوحي فعلي الوالدين:

أولاً: أن يقوما بغرس العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائهما، فيبيّنا لهم العقيدة الصحيحة من العقيدة الفاسدة، ويدلانهم على ربّهم وكيف يوحدونه في جميع مقامات التوحيد، في مقام الذات، والصفات، والأفعال، والطاعة، والعبادة، ويغرسان في نفوسهم الاعتقاد بالأنبياء، وأنّهم رسل من الله سبحانه وتعالى، أرسلهم لهداية الناس إلى الحق، وأنّ آخرهم هو نبي الإسلام محمد «صلى الله عليه وآله»، والاعتقاد بالأئمة الإثني عشر الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام»، وأنّ أوّلهم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وآخرهم هو المهدي المنتظر «عجل الله تعالى فرجه الشريف»، والإيمان بالآخرة، إلى غيرها من الأمور التي يلزم المسلم الإيمان والاعتقاد بها.

ثانياً: أن يعلّما أبناءهما ما عليهم من واجبات وفرائض، وكيف يؤدونها بالشكل الصحيح المطلوب شرعاً، كالصلاة وغيرها من العبادات.

ثالثاً: أن يغرسا في نفوس أبنائهما الأخلاق الفاضلة الحميدة ويشجعانهم على التخلّق والتعامل مع الآخرين بها، وينهيانهم عن الأخلاق الفاسدة الرذيلة.

نصائح مهمة:

ومما ينفع في تربية الجانب الرّوحي، وتقوية الإيمان، ونمو التقوى وارتقائها إلى مراتبها العليا عند الأبناء، هو تشجيهم على تلاوة كتاب الله المجيد، والتدبر في آياته، وفهم معاني كلماته وعباراته، وتعويدهم على الذهاب إلى المسجد وممارسة عبادة الصلاة فيه، وحثّهم على الذهاب إلى الأماكن التي تلقى فيها الدروس والمحاضرات الدينية كالمساجد والحسينيّات وغيرها، وأن يوفر الوالدان لهم الكتب الدينية والثقافية المناسبة لأعمارهم، والتي تكسبهم الثقافة الإسلامية، وتغرس في نفسوهم المعارف والمفاهيم الدينية، فكل ذلك مما له أثر كبير في زيادة الجانب المعرفي للأبناء، الأمر الذي يؤدي إلى تقوية إيمانهم ورفع درجة التقوى لديهم.

ثم إنّ من العوامل الكبيرة التي تؤدّي إلى انحراف الأبناء هم رفقاء السوء، الذين عادة ما يتأثر المرء بهم فيكتسب من أخلاقهم وعاداتهم القبيحة، ويسير معهم في طريق الشّقاء والإنحراف، وقد يصل الأمر بالبعض إلى أن يصبح مجرماً قد تأصّل الإجرام فيه، الأمر الذي يصعب بعد ذلك معه ردّه إلى جادّة الحق .. وعليه فبما أن المرء يتأثر عادة بصاحبه وصديقه، فإن كان فاسداً كان مثله، وإن كان صالحاً كان كذلك مثله صالحاً، فعلى الآباء

أن يختاروا الرفقاء الصلحاء لأبنائهم، ليكتسبوا منهم الالتزام بالدّين، والأخلاق الكريمة، والعادات الفاضلة، والآداب السامية الرفيعة، ويبعدونهم عن رفقاء السوء، حتّى لا يقعوا في شباك ضلالهم وانحرافهم.

٤- العدالة بين الأبناء:

ومن الأمور التي ركّزت عليها الشريعة الإسلامية، ووجهت الوالدين إلى مراعاتها والالتزام بها مسألة العدل بين الأبناء، وذلك لما يخلّفه عدم العدل بينهم من آثار سلبيّة، ومن أكثرها سلبيّة أنّه يزرع العداوة والحقد بين الأبناء، فيعادي بعضهم البعض، ويحقد بعضهم على البعض الآخر، كما يكون موجباً للتحاسد بينهم، وقد يترافق ذلك معهم منذ صغرهم إلى ما بعد سنّ التكليف فيؤدي إلى حالة من التقاطع بين الأرحام، وهو ذنب له آثاره الوخيمة جدّاً، وغيرها من الذنوب التي عادة ما يكون الحقد والعداوة والحسد باعثاً على ارتكابها.

ومما جاء في الحث على العدل بين الأبناء ما روي عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أنّه قال: (إن لهم عليك من الحقِّ أن تعدل بينهم، كما أنّ لك عليهم من الحق أن يبرّوك)[1].

(١) ميزان الحكمة ٩/٥٦٥، برقم: ٢٢٦٣٣.

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (اتّقوا الله واعدلوا في أولادكم)[1].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: (أعدلوا بين أولادكم في النحل[2] كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف)[3].

والعدالة المطلوبة بين الأبناء تشمل كلَّ الجوانب التي تحيط بالأبناء، في الجانب المادي والمعنوي، لا في خصوص الماديّات فقط، فكما أنّ من حقّ الأبناء العدل بينهم في حاجاتهم الماديّة، فكذلك من حقّهم أن يُعْدَلَ بينهم في حاجاتهم المعنويّة، من الإحترام والتقدير والاهتمام والحب وما شاكل ذلك، فعن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (أبصر رسول الله رجلاً له ولدان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال «صلى الله عليه وآله»: فهلّا واسيت بينهما؟!)[4].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: (إنّ الله تعالى يحبُّ أنْ تعدلوا بين أولادكم حتّى في القبل)[5].

وعن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: (والله إنّي لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وإنّ

(١) ميزان الحكمة ٩/٥٦٥، برقم: ٢٢٦٣٢.

(٢) النحل: العطيّة والهبة ابتداءً من غير عوض ولا استحقاق.

(٣) ميزان الحكمة ٩/٥٦٥ - ٥٦٦، برقم: ٢٢٦٣٤.

(٤) ميزان الحكمة ٥/٥٦٦، برقم: ٢٢٦٤٠.

(٥) ميزان الحكمة ٥/٥٦٦، برقم: ٢٢٦٣٨.

الحقَّ لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره، لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف أخوته)[1].

(١) ميزان الحكمة ٥/٥٦٦، برقم: ٢٢٦٤١.

الاستغلال الأمثل للعمر

بحوث ومقالات
من هدي الإسلام

الإستغلال الأمثل للعمر

عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»:

(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)[1].

في هذا الحديث النّبوي الشريف يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بأنّ هناك أموراً أربعة لا بد وأن يسأل عنها العبد في يوم القيامة، وهي:

- **عن عمره فيما أفناه.**
- **عن شبابه فيما أبلاه.**
- **عن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه.**
- **عن حب أهل البيت «عليهم السلام».**

فأوّل هذه الأمور الأربعة التي يسأل العبد عنها هو أنّه يسال عن عمره فيما أمضاه وقضاه، وعمر الإنسان هو الفترة التي يعيشها في هذه الحياة الدّنيا، من يوم ولادته وإلى يوم فاته، فإذا

(١) الخصال، صفحة ٢٥٣.

ما استثنينا فترة ما قبل التكليف، وهي من يوم الولادة وإلى البلوغ الشرعي، فإن الفترة التي يسأل العبد عنها من عمره هي تلك الفترة من يوم تكليفه بالأحكام الشرعية والفرائض الإلهية وإلى يوم الوفاة.

وعمر المرء رأس مال لديه، عليه أن يستغلّه استغلالاً أمثلاً، فعليه أن يقضي عمره في ممارسة كل عمل صالح ومفيد، يعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة، ويكسبه رضا الله سبحانه وتعالى، فمن أمضى عمره كذلك، فيكون قد استغل عمره استغلالاً صحيحاً، أمّا من يقضي عمره في اللهو واللعب وممارسة الأعمال والأفعال غير المفيدة أو التي تعود عليه وعلى الآخرين بالضرر، وفي معصية الله سبحانه وتعالى، فإنه يكون قد ضيّع رأس ماله «عمره» ولم يستغلّه استغلالاً صحيحاً أمثلاً.

وفي حديث عن الإمام الرّضا «عليه السلام» يقول فيه: (اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات، الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)[1].

(١) بحار الأنوار ٧٥/٣٢١.

أي عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم لتقسّموا وقتكم من اليوم والليلة إلى أربعة أقسام، قسم منها عليكم تخصيصه لممارسة العبادة (ساعة لمناجاة الله) من صلاة واجبة ومستحبّة ودعاء وقراءة قرآن وغيرها من الأعمال التي تندرج تحت مفهوم العبادة.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أنّه ليس مراد الإمام «عليه السلام» أن يعطى كل قسم من هذه الأقسام العدد من الساعات الذي يتساوى فيها مع الأقسام الأخرى، ولكن على العبد أن يكون متعدلاً دون إفراط أو تفريط، وبالنسبة إلى الوقت الذي يقضى في العبادة ينبغي أن يكون أكبر مما يقضيه الكثيرون فيها فعلاً، لأنّ الإنسان وكما أنّه يحتاج إلى تغذية الجانب المادي «الجسدي» بالغداء المادي من المأكل والمشرب، فكذلك الجانب المعنوي «الرّوحي» يحتاج إلى غذاء معنوي، ولا يتم هذا الغذاء إلاّ بممارسة الأعمال العبادية، وكلما مارس العبد العبادة بشكل واسع وكبير وبإتقان، كلّما قوي إيمانه وارتفعت درجة تقواه.

ويقول الإمام «عليه السلام»: (وساعة لأمر المعاش)، أي على العبد أن يخصص جزءاً من وقت يومه وليلته لكسب الرّزق، والسعي في مناكب هذه الأرض، وذلك لتوفير أمر معاشه مما يحتاجه لنفقته ونفقة عياله، من مأكل وملبس ومشرب وغيرها من الاحتياجات الضروريّة والكماليّة.

إنّ المجتمعات الإنسانية لا تخلو من وجود ظاهرتين تتعلّقان بمسألة السعي لطلب المعاش وتوفير الاحتياجات الضروريّة والكمالية، وهي:

١-ظاهرة التفريط في السعي لطلب الرّزق والكدّ على العيال والنّفس، حيث تجد بعض الأفراد لا يبذلون أدنى جهد ولا يصرفون شيئاً من وقتهم لذلك، بل تجده خاملاً كسلاناً لا يمارس عملاً، ويعتمد على الآخرين في توفير احتياجاته ومتطلّبات أسرته وعياله، ومثل هؤلاء الأفراد هم مورد ذم من قبل الشريعة الإسلامية، ففي الرّواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنّه قال: (كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يعوله)[١].

وفي رواية عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (ملعون ملعون من ألقى كله على الناس، ملعون ملعون من ضيّع من يعول)[٢].

إنّ الإسلام يحث المسلم على العمل لكسب القوت وتوفير مستلزمات الحياة والاحتياجات العائليّة، ففي الرّواية عن النبي «صلى الله عليه وآله»: (من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له)[٣].

(١) الكافي ١٢/٤.
(٢) الكافي ١٢/٤.
(٣) بحار الأنوار ٢/١٠٠.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله)[1].

٢-ظاهرة الإفراط في السعي لطلب المال، حيث يقضي البعض الوقت الكبير من يومهم وليلتهم في السعي لطلب المال وجمعه وتخزينه، مع أنّ بعضهم ليس بحاجة ماسة للمال ليصرف في طلبه كل هذا الوقت، لأنّ لديه منه ما يكفيه ويكفي من يعول لسنوات، بل إن بعضهم لديه ما يكفيه مدى حياته ويزيد على ذلك، يدفع هؤلاء لذلك الحرص والجشع وحب المال، ويكون ذلك على حساب أمور أخرى ينبغي للمرء أن يصرف جزءاً من وقته فيها وعليها، كالعبادة والحضور إلى مجالس العلم والذكر والوعظ والإرشاد، وزيارة الأرحام والأصدقاء، وتربية الأبناء، وغير ذلك، وأيضاً على حساب الوقت الذي ينبغي للمسلم أن يصرفه في العمل الإسلامي والنّشاط الديني.

إنّ مثل هؤلاء الأشخاص أيضاً مورد ذمٍّ من قبل الشريعة الإسلامية، فعن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (ما ذئبان جائعان في غنم قد فرقها راعيها، أحدهما في أولها والآخر في آخرها بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المرء المسلم)[2].

(١) الكافي ٥/٨٨.

(٢) بحار الأنوار ٧٠/١٤٤.

ويقول الإمام الرّضا «عليه السلام»: (وساعة لمعاشرة الأخوان والثقات، الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن)، أي عليكم أن تخصصوا وقتاً لزيارة الإخوان والأصدقاء والأصحاب، والجلوس معهم والتحدّث إليهم، فلا بدّ للإنسان من أشخاص يجلس معهم، ويتحدّث إليهم ويسامرهم فذلك مما يفرّج الهم، ويذهب بالحزن، ويزيد في توثيق عرى المحبّة والودِّ بين أفراد المجتمع، وجاء الحث الأكيد من الشريعة الإسلامية على زيارة الإخوان، وأن لذلك جزاءً كبيراً وثواباً كثيراً، ففي الرّواية عن الإمام الباقر والصادق «عليهما السلام» قالا: (أيّما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه، كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، وإذ طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبدي تزاورا وتحابا فيّ، حق عليّ ألاّ أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف ...)[1].

والإمام الرضا «عليه السلام» في كلامه السالف، يحثّ على مجالسة من تتوفر فيهم سمات معيّنة لا مع أي شخص، فلا بد من أن يكونوا مرآة لمن يؤاخيهم ويصاحبهم، يظهرون له عيوبه ويدلونه عليها ليتخلّص منها، ومن أن يكونوا مخلصين لصاحبهم

(١) الكافي ٢/١٨٤.

وجليسهم في السر والعلن، في الظاهر والباطن، فعلى المرء أن يصاحب ويجالس ويصادق الصالحين الثقات، فعن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: (من دعاك إلى الدار الباقية، وأعانك على العمل لها، فهو الصديق الشفيق)[1].

وسئل النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» فقيل له: (يا رسول الله! أي الجلساء خير؟ قال: من ذكركم بالله رؤيته، وزادكم في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله)[2].

إذاً على المسلم أن يجالس الأشخاص الذين تزيد مجالستهم في إيمانه، وتدفعه إلى الورع عن محارم الله، الذين يعينونه على العمل الصالح، ويبتعد عن مجالسة ومصاحبة أصحاب المعاصي، الذين يجرّون صاحبهم وصديقهم إلى اقتراف الذنوب وارتكاب السيّئات ويشجعونه عليها، ففي الرّواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة)[3].

(١) عيون المواعظ والحكم، صفحة ٤٣٧.
(٢) بحار الأنوار ١٨٦/٧١.
(٣) صحيح البخاري ١٦/٣.

وفي يوم القيامة يتبرأ الأصحاب والأخلاء الذين تصاحبوا في الدنيا على الكفر والنّفاق والفجور والفسوق والعصيان من بعضهم البعض، وتنقطع علاقة الخلّة والصداقة بينهم، وتتحوّل إلى عداوة إلاّ الذين تآخوا في الله ولله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1].

ويقول الإمام الرضا «عليه السلام» (وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)، لأنّ الإنسان مكوّن من مجموعة من الغرائز والشهوات، فهي مما يحتاج إلى إشباع أيضاً، فعليه أن يخصص وقتاً لإشباعها والاستمتاع بلذائذ الحياة، والترويح عن النفس، ولكن لا بد أن يكون كل ذلك ضمن الأطر الشرعية، بعيداً عن الحرام، فبذلك يتجدد نشاطه ويصفو ذهنه، فيقوى على ممارسة أعماله وسائر نشاطاته المختلفة بشكل أكبر وأكثر.

(١) الزخرف: ٦٧.

الفهرســت

المقدّمة ٥

من ثمار التّقوى ٧

من خصائص إنفاق المتقين ٢٣

من صفات المؤمنين (يقيمون الصّلاة) ٣٧

الدّعاء ٤٧

من مكفّرات الذنوب ٦١

الإستغفار ٧٧

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ٩٥

الكذب..حرمته..أقسامه..آثاره ١٠٥

النميمة ١٢٥

الظلم..حرمته..أنواعه..آثاره ١٣٧

الزّنا ..حرمته ..آثاره ١٥٣

الخمر ..حرمتها ..آثارها ١٧٧

المذموم من حبّ الدّنيا ٢٠٩

المال .. البنون .. العمل الصالح ٢٢١
برُّ الوالدين والإحسان إليهما ٢٣٧
من حقوق الأبناء على الوالدين ٢٥٣
الاستغلال الأمثل للعمر ٢٧١
الفهرست ٢٨١

حسن عبد الله العجمي

بحوث ومقالات من هدي الإسلام

ISBN 978-6-1442678-5-1

9 786144 267851

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail : almahajja@terra.net.lb
E-mail & FB: info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

دار الحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان